سلسلة كتاب العميد

(١٨)

الأئمة الأطهار عليهم السلام
مراجعة في الأدوار والآثار

ISBN: 978-9922-680-62-0

الائمة الاطهار عليهم السلام : مراجعة في الأدوار والآثار.-الطبعة الاولى.-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، قسم النشر، ١٤٤٥ هـ. = ٢٠٢٤.
١٠٤ صفحة ؛ ٢٤ سم. (سلسلة كتاب العميد ؛ ١٨)
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
ردمك : ٩٧٨٩٩٢٢٦٨٠٣١٦
١. اهل بيت الرسول عليهم السلام (شيعة)--علم. أ. العنوان

LCC : BP193. A56 2024
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
فهرسة اثناء النشر

٢٣٩/٣
أ ٩٨٢ الأئمة الاطهار (ع) : مراجعة في الادوار والآثار /
مجموعة من المؤلفين . – ط ١ . – كربلاء :
مركز العميد الدولي ، ٢٠٢٤ .
١٠٤ ص. : ٢٤ سم .
١ .اهل بيت النبي. ٢. الحسين بن علي(ع) ، الامام الثالث.
رقم الإيداع
١٢٣٧ / ٢٠٢٤

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٢٣٧) لسنة ٢٠٢٤

العنوان:(الائمة الاطهار عليهم السلام مراجعة في الأدوار والآثار)

سلسلة كتاب العميد (١٨)

النَّاشر: العتبة العبَّاسية المقدَّسة – مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات – قسم النشر

الإشراف العام : أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

المتابعة والتنفيذ: – م.م.ضياء محمد حسن

الادارة الفنية: م.م. علي رزاق خضير

الإخراج الطباعي: احمد هاشم الحلو

تصميم الغلاف: احمد محسن الحسيني

عدد النّسخ: ٢٥٠

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ – ٢٠٢٤م

حقوق النَّشر والتَّوزيع محفوظة للعتبة العبَّاسية المقدَّسة

مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات.

الرمز البريدي للعتبة العباسية المقدسة: ٥٦٠٠١

رقم صندوق البريد (ص.ب): ٢٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى
وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الدخان، الآية: ١٣.

المحتويات

كلمة المركز ٩

الطوفان و السفينة: الإمام الحسين ﷺ في نصوص الجيل التسعيني - نصوص حسين القاصد مثالا.....١١

ملخص البحث ١٢

المقدمة.....١٤

التسعينيون بعد أوانهم.....١٦

سفينة النجاة.....١٧

الحسين ﷺ هوية ووطن.....١٨

الحسين ﷺ حبل موصول بذات الله.....٣١

الهوامش.....٣٧

المصادر والمراجع.....٣٩

الإمام السجاد ﷺ رائد الإصلاح الاجتماعي في العصر الأموي(دراسة من خلال رسالته (الحقوق)).....٤١

ملخص البحث ٤٢

المقدمة.....٤٤

التمهيد.....٤٥

المبحث الأول: حق الله تعالى وحقوق الأفعال:.....٥٠

المبحث الثاني: حق النفس وحقوق الجوارح.....٥٣

المبحث الثالث: حقوق الرحم.....٥٦

المبحث الرابع: حقوق الآخرين ٥٨

أولاً: حقوق من تجمعك بينهم علائق دنيوية على نحو تلازمي، وهي كالآتي.....٥٨

ثانياً: حق من تجمعك بهم منافع مادية.....٦٢
ثالثاً: حق من تنتفع به وينتفع بك..... ٦٥
رابعاً: حق من تجمعك معهم منافع أخروية..... ٦٧
خامساً: حقوق من يجمعك معهم مكان.....٦٨
الخاتمة..... ٧٢
الهوامش.....٧٤
مصادر ومراجع.....٧٩
الحوار الحضاري مع الآخر عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام ٨١
ملخص البحث.....٨٢
المقدمة.....٨٥
المحور الأول (مفهوم الحوار الحضاري مع الآخر).....٨٦
المحور الثاني: نماذج من حوار الإمام جعفر الصادق عليه السلام مع حكام عصره...٨٨
المحور الثالث: نماذج من حوار الإمام الصادق عليه السلام مع علماء عصره.....٩٢
المحور الرابع: نماذج من حوار الإمام الصادق عليه السلام مع الملحدين والفاسقين والغلاة.....٩٦
الخاتمة.....١٠٠
الهوامش.....١٠١
مصادر ومراجع.....١٠٣

كلمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، باعث الأنبياء والمرسلين والصلاةُ والسلامُ على نبينا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين .. وبعد ..

فقد وظَّف أئمة أهل البيت عليهم السلام حياتهم ، من خلال سيرتهم العطرة ، لتقييم سلوك مجتمعاتها وتقويمها وإصلاح أمورها وسداد طريقها .. من هنا تبنى قسم النشر في مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات ، بإصدار مطبوعات دورية ضمن سلسلة كتاب العميد ، المتضمنة بحوث علمية منتخبة من مجلة العميد المحكمة ذات الطابع الفكري .

وفي اصدارنا الحالي تناولنا ثلاثة دراسات في تراث أهل البيت عليهم السلام الذين أصبحوا لنا وللإنسانية وللتاريخ عنواناً للخصب والسلام والهوية والوطن ؛ بوصفهم الحبل المتين الموصول بذات الله سبحانه وتعالى .. فجاءت الدراسة الأولى موسومة بـ (الطوفان والسفينة : الامام الحسين عليه السلام في نصوص الجيل التسعيني) التي سلطت الضوء على شخصية الامام الحسين عليه السلام الحاضرة في شتى مجالات الحياة بشكل عام وفي ذاكرة االشعراء التسعينيون ، الذين اختزلوا كينونتهم بشخصية الامام الحسين عليه السلام وجعلوه طريقاً للشعر الأصيل .

في حين وَسَمَت الدراسة الثانية بعنوان : الامام السجاد عليه السلام رائد الإصلاح الاجتماعي في العصر الاموي – دراسة من خلال رسالته الحقوق التي تعد احد أركان مصاديق الإصلاح المنشود التي تبث للمجتمع ، والذي تبناه

الامام السجاد عليه السلام ، من أجل تقويم المجتمع من خلال معرفة حقوق الله تعالى وحقوق الأفعال وحق النفس وحقوق الجوارح وحقوق الاخرين .. فالمتتبع لسيرة أهل البيت عليهم السلام يجد ان الائمة الاطهار عليهم السلام قد وظفوا سيرتهم لإصلاح أمة جدهم نبي الرحمة و رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وتقويم أمورها قولاً وفعلاً على الطريق الصحيح . وصولاً الى الدراسة الأخيرة حول الحوار الحضاري مع الآخر عند الامام جعفر الصادق عليه السلام ، التي سلطت الضوء على تنوع أساليب الحوار بالفعل والرمز واستراتيجياته المنهجية في الجدل والاقناع لكبار العلماء والفقهاء وغيرهم من المخالفين حول مقاصد ومسائل كثيرة ،الذي تجلى ذلك في مناظراته المعرفية مع الآخر وعالجها ، على وفق الشريعة الإسلامية المحمدية .

ومن خلال سلسلة قسم النشر المباركة ، ندعوا الاخوة الباحثين الكرام المتخصصين في الدراسات الإنسانية المتنوعة للإسهام في نشر النتاج الفكري الأصيل حول تراث أهل البيت عليهم السلام ..

ومن الله التوفيق والنجاح والسداد .

أ.د.شوقي مصطفى الموسوي

رئيس قسم النشر

الطوفان و السفينة: الإمام الحسين عليه السلام في نصوص الجيل التسعيني – نصوص حسين القاصد مثالا

أ.د. عباس رشيد الدده

جامعة بابل

كلية التربية / للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

ملخص البحث

ناء العراق في تسعينيات قرنه العشرين، بعبء طغمة انقضت ظهره، وفرّغت البلاد من محتواه العلمي والمادي، واستنفدت موارده، ورزح الفرد فيه تحت جور واستبداد، مصحوبين بضنك العوز، وشحّ العيش، ثم راحت تزجّه في حروب صماء لا طائل من ورائها، فجنى منها اليتم، وتلفّح بسواد ظاهرا وباطنا، فلاذ كثير من شعرائه بالعزلة، واستسلم للاجدوى، وطوى كشحيه على حسرة وزفرة، فلم يطِر، ولم يستطع من حصاره فكاكا.

وفي أجواء موبوءة كهذه، لاذ بعض الشعراء بالإمام الحسين عليه السلام، فنارا، ومسارا، ومخبأ يدرؤون به سيئات زمنهم، ويستمطرون به النجاة، ويحيي فيهم كل أمل. وظلوا بعد ذلك يشدّون إليه الرحال، ويدورون في فلكه كلما أعتم عليهم فضاء، أو غمّ عليهم أمر؛ فكان الحسين عليه السلام، لهم هوية ووطنا، وخلودا وديمومة، وعنوان خصبٍ ونماء، ويقينا يعصمهم من أدغال الوهم، لأنه حبل موصول بذات الله جلّ وعلا.

ولأن شعراء التسعينيات من الكثرة، ولأن تجاربهم في استضافتهم لشخصية الإمام الحسين عليه السلام من التنوع، ولأن آثار تلك الشخصية من السعة والتباين بحيث تتعسّر معها الإحاطة، ويتأبى الحصر والوفاء لها، فقد اصطفينا، في هذا البحث، مثالا يترجم جانباً منهم؛ هو شعر الشاعر حسين القاصد.

ABSTRACT

Iraq in the nineteenth century bears the brunt of a clique devastating its man ، fauna، flora ، striping the country of its scientific and epistemic merits ،squandering its sources ، casting man، steeped in poverty and sustenance lack، into coercion and oppression and yoking him with wars worth nothing but orphanage and agony : many poets take refuge in alienation ، surrender to nothingness ،appeal to life as it is and fail to set himself free from its fangs. Under such circumstance redolent of atrocities ، some poets revert into imam Al-Hussein as a lighthouse ، a pathway and a haven they could shield themselves from the vice of the age ، find salvation and resuscitate hope ; henceforth they trip to such vents and rotate around them if need be or despondency looms larger and larger in their life; Imam Al-Hussein fro them an identity and a land ، eveternity and celestiality ، a fount of fertility and foliage ، certitude drags them from scepticism ، as he is a golden stair to Him.

For the abundance of the ninetieth century poets ، for the diverse allusions to the imam Al-Hussein and for the versatile and untraceable merits of such a figure delimitation is hard to be we do choose such a poet to be a sample : Hussein AlQasa

المقدمة

-١-

إنهما طوفان التسعينيات، وسفينة النجاة عليه السلام

-٢-

إن سنوات التغييب القسري التي شهدتها تسعينيات قرن العراق المنصرم، يمكن عدها (واقعة تسعينية) أيضا، مثلما كانت واقعةً ثمانينيةً ، بل تستطيع الجزم أنك بإزاء واقعة هي والنظام الحاكم صنوان بامتياز؛ لذلك باتت السنوات متوشحة بسواد اليتم والترمل، وغدا وزر الموت ينقض ظهر الشعراء، وهم صفوة المبدعين إحساساً وشعوراً.

سنوات سكت فيها صوت الحياة وراح من فيها يجيد الإنصات إلى غطرسة النظام الذي أقحم الدولة في رهانات واهية وزائفة، لإخفاء الإخفاقات السياسية والاقتصادية، و الاجتماعية، وحتى النفسية كون النظام يمثّل شخصا بعينه، أو أن ذلك الشخص هو النظام نفسه.

سنوات عاش فيها الفرد العراقي عالماً مملوءاً بالأنوار الخادعة، وسراب الأوهام، عالما يسوده منطقاً منفلتاً من كل عقلٍ وعقال؛ فتضوّر الإنسان فيه من تخمة مفهوم مبادئ جوفاء وتنظير عار من مصاديق تطبيقه، وموورست على عقله ضروب من الاستخفاف، وإشكال شتى من الاستلاب الفكري، فاندكّت ذاته تحت سطوة الآخر المستبدّ، وتفرّغ وجوده من محتواه.

واستفحل الشعور بالإحباط، حتى غدا يقيناً؛ ذلك أن الاشياء فقدت معناها، بل ما عاد ثمة معنى للحياة، وبمرور الوقت صار يوجعه يقينه بعدم جدوى أي شيء، فنغل فيه عبث ، هو في صميم العبثية، عبث صار مفردة من مفردات الشخصية التسعينية.

وكل فعل من هذه الأفعال يولّد لوحده القهر النفسي، الأمر الذي جعل الفرد يلوذ إلى ذاته، مغادراً الآخر، مستسلما للوقوع في شراك العزلة والانطواء

-٣-

في ظل هذه الأجواء لاحت بارقة الحسين عليه السلام لشعراء الجيل التسعيني؛ لتعصمهم من النكول والوهن، يستمطرون به شآبيب الخلاص، وينهلون ويقتدون، فهو الحر الذي لم تستعبده سلطة ولا دنيا، فلا إقرار عبيد ولا فرار ذليل..

لاح الحسين عليه السلام للشعر والشعراء ليغدو- أيضا- بمثابة المخبأ من الوجع.

-٤-

إن توظيف الشخصيات الإنسانية في نصوص تسعينيات القرن المنصرم، اتخذ أنماطاً، وتوزعته غايات؛ فنمط منها اجتلب من خارج حدود ثقافاتنا، ليغرس في تربة النصّ، ويسقى بماء تجربة الشاعر، وتحت رعايته، وعنايته، ليخضر دلالة جديدة هي نتاج تلاقح أو تثاقف.

ومنها شخصيات تاريخية أسطورية تفصّل على مقاس التجربة، بحذر ووعي شديدين، وهذا النمط أسس لمرحلة من حياة التوظيف الإبداعي مرّت فيها الشخصية الموظّفة بالمجاعة والضمور حتى بانت لنا أضلاعها، وعظامها الممشوقة، دخل في طور التشذيب والتهذيب، بحيث قشّره المبدعون، ثم جوّفوه، خشية أن يظلّ فيه (دالا ومدلولا) ما يسيء إلى مقام القائد الأسمى، ويخدش أيديولوجيا حزبه الأوحد.

ومنها نمط تصالح عليه التسعينيون وصاروا أخواناً فيه، وهو رمز الحسين عليه السلام، والأرواح التي حلّت بفنائه، فرادى أو جمعا.

وقد حافظ على ثرائه، وجاد بكنوزه، ولما يزل

-٥-

ولك أن تجد شخصية الإمام الحسين عليه السلام حاضرةً في كل مفاصل الحياة؛ الحضور الذي يعجب متأمل المشهد التسعيني، كيف أجاز المحاصِرُ للمحاصَر التحصّن بالحسين عليه السلام ، كيف ترخصوا في إيوائه في (منظومات شعرية) يتبجحون أمام السلطة أنهم سدنتها

ولمن عبر سنينهم العجاف، و كتبت له سلامة اجتيازها، والوصول إلى زمن الكتابة هذا، أن يكون شاهداً على أن الحسين عليه السلام مكث على شفاه ناسها، على نحو تعجب كيف لم يقطعوا الألسن وقد قطعوا غيرها

وهو لافت للنظر، ولغيره!!

وللشاهد أن يستذكر ما شاءت له الذكرى، ولن يعوزه الشاهد والدليل،وأن يستعيد مشاهد ذلك العصر الموبوء بطائفية معلنة مقيتة، و أن يستشهد أذنه التي لم تكن لتكف عن سماع أسماء السلسلة الذهبية، تتجاوب في أصداء الأفواه، فتدوّي حروفها في الجنبات، فتلج البيوت على العتاة المردة، فتقض مضاجعهم ، وتحط من أقدارهم..

له أن يستذكر إن لم تكن الذكرى لوحدها تنثال من دون إذن، لتعكر صفو الروح باستعادة جوقات المداحين وهم يهزجون، أو يغنون، ويستنهضون الهمم الموالية رغما عن أنف هوياتهم متعكّزين مترنّمين- في حضرة اسم قائدهم الضرورة- باسم علي أمير المؤمنين عليه السلام ، واسم الحسين الشهيد عليه السلام واسم أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام، حامل لواء الثورة.

التسعينيون بعد أوانهم

ما يحسب للتسعينيين أنهم حين غادروا زمن حقبة ولادتهم، ظلوا مربوطين بحبل سري متين إلى التمييز في التعامل مع الحسين عليه السلام ، ولعله ملمح استفحل في مشغل أكثر من شاعر، ونحن هنا سنجسّ امتدادات التجربة التسعينية فيما تلاها من سنين، لنتلمس بيد برهان على ما نقول، ولعل تجربة حسين القاصد تصحّ مصداقاً لهذا، ولكنّ بها خصوصية تجعلها فارقة:

أولا: طبيعة شعرية القاصد التي استطاعت بما امتلكت من مقومات الشعرية أن تسجّل حضوراً، وتتبوأ مقعد صدق لها بين قامات شعرية وصل الخلاف بينها إلى الاختلاف الذي عبّر عن نفسه في أحايين بالفعل الاستئصالي، أو خطاب الإقصاء، أو اختلاف الأيدي، وذلك أضعف الإيمان.

وقد قيض لها أن ترينا في كل نص ثراء جديداً، يسلب الإعجاب عنوة في زمن العنف.

ثانيا: إن القاصد جسّد صورةً هي نتاج قراءة، ومعاينة، وتامل، ووعي، وفهم، وتمثل لشخصية الإمام الحسين عليه السلام وحريّ بكل واحدة من هذه أن ترسم تبايناً، وتترك تنوّعاً فيما ينتج عنها من تجسيد.

ثالثا: على مر التحقيب الجيلي في العراق كان يعلو الشعراء سماء من (حسين)، وقد تباينوا حظوظاً من إبداع، وغايات، وافترقوا تصنّعاً وطبعاً، واختلفوا في ابتغائهم الوسيلة إلى حسينهم أيهم أقرب! لذلك نستطيع القول أن القاصد- وهو يناجي الحسين عليه السلام- في صميم الاستغراق في الهم الجمعي. وأنه ، حين آوى الرمز، فإنما عن ذات لا تنتظر منه عليه السلام إلا إشباع غاية أو المثوبة أو الزلفى، ولا تأمل من المتلقين إلا غض الطرف، أو ستر ما غطّاه الفن ؛ ففي كشفه ما لا يُرجّى، ولا يُحمَدُ عقباه!

لذلك مسّ تجربته طائف من تميّز؛ ليس لانه إذا قال صدق، وإذا صدق قال !، ولكن: لأن ما أحاق به من مآزم، وما أحاط به من ظرف، جعل إقباله إلى الحسين عليه السلام، يتلبّس بلبوس مختلف، فتكتسي به تجربته بحلل مفارقة، لا شك أن بعضها ستتجلبب بها الأسطر القادمة.

سفينة النجاة:

حين يغدو الواقع بئيساً، وحين يغدو التفكير ليس بتغييره، بل بمجرد التفكير بالخلاص منه غصة تفري ضلوع الشاعر، وحين لا يكون بمستطاع إنسان هذا العصر حق التفكير، فيبيت فاقداً لإرادته وليس له قرار ولا اختيار، ولا تحديد مصير

وحين يكون هذا الواقع عراقياً يعيشه شعراء بزغوا في ظلام التسعينيات، وحين تطوّح بعروش بلدهم العتاة المردة، يكون الحسين عليه السلام طريق الشعر المهيع، سواء في تسعينياتهم أم في ما أعقبها من أعوام وحكّام!

وستعلو هذا التمثّل مطامح عديدة، تعلوها عنوانات، سنأتي على أظهرها، في مشغل الشاعر التسعيني حسين القاصد:

الحسين عليه السلام هوية ووطن

لا أعز على الشاعر من ذاته، ومن وعيه بها، وإحساسه بها، وما تتفرد به من خصوصية، و حقيقة تمسكه بوجوده الشخصي وما يميّزه عن سواه، ومحافظته على تكامل شخصيته، وتحقيقه لكينونته، وإدراكه لقيمتها، والشاعر بملء وعيه، وملء كيانه يلتفت إلى كينونته، ويختزلها بالحسين عليه السلام:

اني أحـــــبك كي أكـــــــونَ ومنذ كنـــــــتُ أنا أحبـــّك [1]

لقد أدرك الشاعر أن واقعه المعيش جعله فريسة عدم التكيف السليم بينه وبين نفسه، أو بينه وبين مجتمعه، ولا شك إن إدراكه لذاته على هذه الدرجة من الوعي، جعله يديم الجدل والحوار مع ما هو خارج عنها وعن كنهها، وعن الآخر المباين له من حيث الذات والفهم والوعي، وخلوصه إلى أن التاريخ يعيد نفسه في كل حين:

للشمس كل الدهر رمحُ
وخلاصة التفكير ذبحُ[2]

هنا سيطيح الواقع بذات الشاعر، وينحدر صوب الحطّ من كل قيمة له، ولا يدع الآخر له من فضاء غير الفضاء الإقصائي للأنا:

هم يذبحونك للظلام
لكي يزول فأنت صبحُ
والآن .. يقترب الترقب .. كل دمع الكون يصحو
ويشق اجفان العيون ويبتدي في الروح نفحُ[3]

ولأن الشاعر يدرك مثلما يدرك الآخر، أنه ليس بمقدوره أن يغادر الآخر،لا سيما أن كينونته لا تكتمل إلا بوجود ذلك الآخر وفي ضوء التعالق معه، كما أنه ليس بالمقدور مغادرة هذه القناعة لذلك سيشخص كل ذلك في صورة وطن كهذا:

استهلك العمر دربـاً دونما جهة

وكلما أشتد حبل التيه... لا أقفُ
لستُ الحسينَ ولكن كلما سمعوا
صوتاً حسيناً.. نشازاً ضده عزفوا
يا ايها الوطن الموجود في عدمي
متى بذبحيَ يا مولاي تعترفُ
يا قاتل النخل والاطهار معذرةً
اني أُحِبُكَ جداً أيها الصَلِفُ[٤]

في أجواء لا خطاب فيها لغير خطاب الإقصاء الفاعل الاستئصالي؛ يلوح الحسين ع شامخا كطود، راسخا كجبل أشم، فيتعلّق به الشاعر؛ عقيدة وتاريخا وثقافة، وهي أثافي ارتكاز هويته الثلاثية:

لي أن احبك فالغرام قضية
وانا احبك اذ هواك هوية[٥]

لكنه عسير على الشاعر وهو يعيش عالما ملؤه السراب، والأنوار الخادعة، أن يملأ بهذا ذوات الآخرين، كما مُلِئت ذاته، فدوّت بها جنباته، فهدأ، أن يُري الأخرين الضوء الذي لاح في الأنفاق المعتمة، ولكنه متيقّن من أن سؤاله سيظل يعصف في عصره من تخوم أُمَوِيّاته، إلى ذرى شمس الحق التي ستبزغ فيه:

لن يستريح الدهر
حتى ينحني خجلاً
ويخنقه السؤال القاتل ...[٦]

وهو سؤال سيتناسل، عابراً الجغرافيات، والأزمنة، ليسائل عن الطف وإشراقات الحسين عليه السلام، وعن نجوم لم تستعبدهم سلطة ولا دنيا، ولم يبهرهم خداع الإغراء، فكانوا مثل واضحة النهار، ولكن أنى لمن لا يبصر أن يميّز!

وهو – أيضا– سؤال موصول بالسؤال عن منطق التاريخ، وسيرورته، وصيرورته، ومختوم بالوطن:

والآهِ

والتاريخِ

والوجعِ العراقِ

والفِ جيلٍ... مايزال يماطل[٧]

وعلى الرغم من كونها واقعة وقفت بالضد من غريزة البقاء عند الإنسان،– ولولاها لما رأى الحق من يعمل به، والباطل من يتناهى عنه، إلا أن التاريخ بُنِي على أسس جرف هار لقناعات مناوئة لحقيقتها، فأتخم صفحاته بالقباحات، والخيبات، والسوءات، والعورات، وو.. وحاول حجب الشمس بغربال، وأنّى لمعرفتها ممن أسر وعيه باعتلالات صحية، وغشيه ما غشيه:

لم يعرفِ الثقلَ الحسينَ

سوى دموعِ الابرياء

ومن سواهم جاهلُ[٨]

إن إشراقات الحسين عليه السلام، جللت الشاعر، مثلما جللت سواه، فوجدوا ذواتهم بإزاء الأروع أمثولة للإنسان، فتوارثوا حرارة في قلوب أسلافهم، وأحبّوه، فأخذت مودته بمجامع كيانهم، فأسبل استذكار يومه الدموع، وأقرح الجفون، وأحزن الأفئدة. فغدت حقيقته صنو حبه، وبات محض حبه في صميم إدراكه، فكان ذاك ديدن الاسلاف، والأخلاف تناسلوا في ضوئه:

للجاهلين حقيقةَ الخدين يشتعلان حتى يستفيق الغافلُ ...[٩]

وهكذا شكل عقيدة، و تاريخاً، وثقافة، فكان هوية، وغالب كل ذلك انتماء حقيقي، فتماهى بالانتساب، فكان وطنا:

ما العقل الا دمعتان كدجلتين مدى عراقٍ مقلتاه جداولُ

وطنٌ

به العباسُ ينزفُه الفراتُ لصبحهِ، غدُهُ البهيُّ تفاؤلُ

حتى قيامتِنا

يظل الطفُ مشعلَ صبحنا ان الجراحَ مشاعل

وطنٌ عليٌ ..

كربلاءٌ.. كوفةٌ حمراءُ ..

يبقى والجميع زوائل[١٠]

إنه وطن أثثه الشاعر بعالم روحي مجرد من غواشي الطبيعة، بديلا عن عالم مادي يراه حالكاً، ولا يخشى فوات شيء فيه، عالم يستوطنه تاريخ مزيف من الوهم، فيخلق جراءه سلاسل وهمية لامتناهية، سيجدّ الشاعر في استبداله بعالم روحي مجرد من غواشي الطبيعة، بوطن سيؤثثه بمفردات عنوانها الحسين عليه السلام، ما أن تلوح للعقول القاحلة حتى تينع، والقلوب الجديبة حتى تخصب .

وغير خاف أن الظمأ والجفاف واليبس في الروح في واقع الشاعر وراء تغلغل الماء بهذه الكثافة في النص؛ فهو يلوح بتصريفاته الدلالية الأظهر، فمن (الدمعتين) المنهمرتين كـ(دجلتين) تنسابان على مدى وطنه الأرحب، إلى (الجداول) التي تغدق على الأرض فتبعث الروح في حياة قاحلة مجدبة ، إلى (العباس عليه السلام) سيّد الماء، آسره منذ أن كان على الأرض طفٌّ، إلى صيرورته ماء ينزفه (الفرات)..

وغير خاف أن عالمه المادي الحالك، وراء تغلغل النور بهذه الكثافة، ليغدو صنو الماء؛ فهو يلوّح بتصريفاته الدلالية الأظهر، فمن أعلاها وهو النور الرسالي المتجلي عن علي أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، وسليله قمر بني هاشم أبي الفضل العباس عليه السلام، إلى (الصبح)،

والغد (البهيّ) وما ينزّ في تربة النص جراء ذلك من (تفاؤل)، و(مشعل الصبح)، و(الجراح المشاعل)، وما يدلقه المسند والمسند إليه في (وطنٌ عليٌ) من بهاء وسنى، سيجد فيما يعقبه من ملفوظ تعضيدا حيث (كربلاء) بهاء الأرض، وجنتها، و(الكوفة) الضاجة (احمرارا)....

وطن كهذا، قطباه (الماء والنور) أدعى أن ينتسب إليه، وأفخر، واجدى، وكون دعامة القطبين، وجوهرهما الحسين ولوازمه، فهو ألصق بمطلب أن الحسين خلود وديمومة.

الحسين ع خلود وديمومة:

حين نغل الفناء في حياة الشاعر، أو كاد، لاذ بصيرورة شمولية متحرّرة من الهاجس المناوئ، متيقنا أنها تحرره أو تقيه من قبضة الموت، وهي صيرورة الحسين عليه السلام، وسيرورة خلوده

الوقتُ ينزفُ طفهُ
والطفُ من الق الحسين
الى العصور رسائل[11]

إنها رسالة البقاء، في زمن المحو والموت والفناء. لقد أدرك الشاعر أن الجوهر الفاعل اللابديل عنه في التحايل على الفناء، هو الاقتداء بالحسين عليه السلام، هو تفعيل ذكره، تجسيداً لرغبته العارمة في منازلة الموت، والانتصار للذات في صراعها بين التلاشي والوجود.

وحين تفشى الشعور بالموت في روح الشاعر ونغلت تحت جلده طفيليات الفناء والتلاشي، ابتغى إلى الحسين عليه السلام الوسيلة عبر إرسالية الدموع الموصولة بذات الله كون مودته حباً وبكاء في صميم أجر رسالة جده صلى الله عليه وآله، وما لم يفيها حقّها، يغدو الإفادة منها واتخاذها شرعة ومنهاجا، مما يطيح بهويّة الشاعر، ويمس كينونته، وانتماءه إلى الإسلام:

سلام عليك مسيح الفرات
أشبّهتَ؟
هل كنتَ جرحا سويا

لمريم حزنك في كربلاء
صليبٌ يؤكد ما زلتَ حيا
ايا من غسلت عيون الصباح
فابقيتَ منك على الشمس شيا
ترعرعت في سدرة الانبياء
لتسمو لذاك ورثت الوصيا
لانك انت رسول الرسول
بعثتَ الدماء بريدا زكيا[١٢]

إنه بريد الخلود، بريد الدماء الخالد ببريد الدموع الموصولة عبر الجغرافيات والأزمان، لتوصل الهدي والضوء:

وهم عُزّلٌ يا شمر الا دموعهم
مصابيح تهدي الليل شيئا من الفجر
...
تكتّفَ كل البوح لا نصفَ ومضةٍ
تضيء مقالاً ، فالدموع من السحر[١٣]

مثّلت الدموع، هنا، بُرُدَ رسالة السماء السمحاء، حملت طابع ديمومتها، وأجرها عند مستخدميها، لذلك ستؤول إلى أيقونة تحمل عبء الدلالة (بقاء الحسين عليه السلام) و(خلوده):

قطعتَ التواريخ عبر الدموع
ومات الزمان وجئت فتيا[١٤]

حتى أن تلك الدلالة ستنث عطرها، وتكتسي بها كل لازمة كان لها بالحسين عليه السلام علقة، أية علقة، حتى وإن كان الرمح الذي حَمَّلُوه الرأس الشريف، وسائر الرماح التي حُمّلت من حلّت أرواحهم بفناء الحسين عليه السلام:

لانك يوما كسوتَ الرماح

ثيابَ الخلود بكينَ مليّا [١٥]

فكيف إذن، سيكون حال الأرواح ذاتها، إن كان حال اللوازم، على هذا النحو؟ ليس سوى أن تتنامى لتقوض الموت، وليتوهج بنور هذه الدلالة، على نحو ما نجده في نصه (سادن الماء):

بدأتْ وكان الموتُ إلفَك

ومضتْ

وظلَّ الموتُ خلفك

ونزفتَ ثم نزفتَ ثم

نزفتَ ثم.... فكنتَ نزفك

يكفيك أن حملوا السيوف ليقتلوك

فكنتَ سيفَك[١٦]

لقد صاروا جميعهم بمنأى عن نهش الموت؛ إذ حصنتهم نفوسهم الأبية، وهممهم العلية منه، فاستعصوا عليه، فخلدوا، و اختزلوا الأزمنة كلها، وقوضوا الأمكنة:

هل كنتَ تُسفَكُ ؟

كيف تُسفَكُ ؟

كنتَ تسقي الارض

نصفَك

ليظلَ نصفُكَ للفراتِ فما يزال

يعيـــش طفـّك

ايْ مايزال ...

وذاك انتَ مفخخاً تجتاح

حتفـــــــك[١٧]

وليس بمحتاج إلى إظهار أن القلق المتأصّل من الموت الذي اكتنف وجود الشاعر، وتناميه تحت تأثير إيقاع الفزع منه في واقع معيش يجيش في عبابه المروّع، وراء قهر الموت بهذا النحو الذي استعار من الواقع البغيض مفردات أيامه، للوقوف بإزائه، فليتهم الموت بالتفخيخ!، ولكنه لا يؤدي إلا لمحو الضدّ أو الخصم، أما هو فلما يزل يجتاح الموت، ويتحرر من قبضته، ليمارس خلوده وبقاءه، ليس على صعيد الخلود المعنوي، فحسب ولكن سيمارس نماءه في تمثلات طبيعية، يقف الماء على رأس قائمتها، وكلها ستوجه مقود الدلالة إلى الخصب والنماء وتجدد الحياة

الحسين عليه السلام عنوان الخصب والنماء:

حين وجد الشاعر أن إحساس المحو أو التلاشي يلتهم وجوده أو يكاد، طمحت نفسه إلى التحايل على ذلك ببذر جذور الأمل، وتفجير ينابيع الخصب، ، والتعبير عن رغبته الجامحة ببعث الحياة من جديد؛ فهفت روحه صوب سفينة النجاة، لتنير عتمة ذاته، ولتخصب آماله، بغزارة حمولة دلالاتها في هذا المجال:

أكنت الهاً ؟اكنت نبياً؟
لتبقى مدى الليل فجرا بهيا
اما كنت من قال لاللمياه
فأيبست كونا لتبقى نديا
اما كنت من قال لاللحياة
ليذبل نهر وتحيا طريا (١٨)

إنه الحسين عليه السلام، نبع ثر ودفق متجدد في تفرده يغرس الأمل في نفوس مواليه ويعدهم بحياة متجددة، ستصبغ واقع الشاعر الدامي بالأمل البهيّ. لقد احتفى النص بدءا بـ(الفجر)، ليستكمل به نظام الخصب الحسيني، الذي يعلوه دائما عنوانه الفرد (الحسين عليه السلام)، ثم تتابع بنود ذلك النظام، ومحاوره تتوزعها مفردات من قبيل

(المياه، والحياة، والندى، والنهر) المصبوغة والمطبوعة بالبهاء، والطراوة، والفاعلة بنسغها المتصل بأفعال من مثل (تبقى، أيبست، تحيا) وهي كلها في صميم تعزيز الحقل الدلالي المقصود، وإكسائه بالتجدد، وإن كان الشاعر مسكون بالأفجع والأفضع من وقائع الأيام:

بي كربلاءاتٌ من العطش القديم وبي جراح من هواك ندية[١٩]

إن نصوصه ستكون مسكونةً بدورة تجديد الخصب والانبعاث بعد الموت، من قبيل:

من كل رمحٍ كان ينبت سنبلٌ
الرمح ينزف والحسين سنابل
حتى تشظى في السماء .
فانجمٌ حمراءُ من فمه
وحزنٌ شاملُ[٢٠]

مدلول (السنابل) الفائر بالخصب، والمغموس بالأمل، في طقوس الحزن الذي يغطي فضاءات الروح كلها، وسيتلوه مدلول الأنجم الحمراء التي لا تكفّ عن إدامة رسالة السماء، والتشظي في السماء التي تشيع حياة الطبيعة وتشير إلى مظاهر التجدد فيها:

لسناك ، للعشق الذي أشدو لعاشورائه قمح الدموع هدية
وهواك .. لا أبكيك ميتا انما بالموت انجبت الحياة بهية[٢١]

إنها المقدمات السامقة التي غدت بمستوى النتائج السامية صعبة المنال، والتي صار جراءها لموته المروّع سنى يضيء ما اظلم من جنبات الروح، ويغزوها عشق يشدوه دمعا سيبشر بخصب قادم، لأنه بكاء يدعو إلى الثورة ، وتوجع على انتهاك قيم السماء التي ترفض الاستسلام والخنوع للمردة والطواغيت والجبابرة، وتوطين للنفس على التضحية اقتداء وانتهاجا للسيرة العطرة المعطاء.

زد على ذلك أن ثمة ألفاظا تنهض لوحدها بدلالة البعث و الخصب ، من قبيل (القمح) الذي يشير إلى النماء والتكاثر، فحبة القمح تتنامى آخذة بالاتساع، والتكاثر، لتدوم معها حياتها، وتتجدد، وتستمر.

ثم تتتالى مشاهد الخصب الموغلة بالاخضرار، مشيعة الحياة، فالنهر دال زاخر بالخصب، فهي تجود بالماء وهو أصل الحياة، فكيف أذا كانت للأنهار مع الحسين عليه السلام صحبة:

تدري وحتى الله يدري انما الانهار صحبك
تدري وحتى الله .. لكنْ ، كل هذا الحب ذنبك
منذ استقر الرأس فوق رماحهم قد تاه عُربُك
فبقيت وهج دموعنا لتشع حيث الآه شهبك[٢٢]

حيث يحاول الشاعر العيش بين أفياء الأمل، وفتح أفق ساطع لغد مشعّ تعلوه سماء من شهب الحسين عليه السلام، يؤثث الشاعر نصوصه بزرع مفردات تنتمي إلى الحقول الدلالية للخصب.

الحسين عليه السلام يقين :

خبر الشاعر واقعه، وعرفه، فأدرك أن الحياة لا تعدو بسمتها هذا أن تكون ضروبا من آمال موؤدة، وأحلام على لائحة انتظار ، أو سلاسل رجاء يائس، ووجد في رجاء الشمر في قتل الحسين عليه السلام، وما آل إليه بعد أن صار حقيقة، معادلا موضوعيا لكل ذلك:

لَمَ لم تمتْ ؟ فأنا قتلتُك
أيبستَني ، أوَ قد عطشتُك ؟[٢٣]

فما تمتلئ به ذات الفرد من مطامح ومطامع في راهن بئيس، سيخلّف خواء مفصَّلا على مقاس ذلك، وعما قريب وقريب جدا، سيخلّف شروخا في ا لروح، وغالبا ما تؤول الأشياء إلى ضدها:

لَمَ لم تمتْ ؟ والرمح يحملك ابتساماً منذ غلتُك
لَمَ لم تمتْ ؟ قل لي بربك كيف كل الصوت صمتك

أنا ما ذبحتك ، ما ربحتك ، ما انتصرتُ ولا خسرتُك

مازلتَ تذبحني كثيرا ..

هل تراني كنتُ مِتُّك [٢٤]

ولا شك إن حالا كهذا سيضع الفرد في صميم عدم التكيّف مع ذاته، الذي سيؤول شيئا فشيئا إلى تصدع الذات، أو إحداث شروخ فيها، أو انشطارها، وستتبدى أعراض ذلك على لغته:

لا لم أمتْكَ ، فما حييتُكَ ..

لا نصرتُك ، لاهزمتُك [٢٥]

ولكن تلك الذات تستعيد شيئا من عافيتها، حين تدرك أن بعض ما هي فيه، يظهرها في صميم التناقض؛ ففي اللحظة التي تصرّح بيقين مشروخ أنها لم تَمُتْه، تستدرك ان ذلك يستلزم بالضرورة الاعتراف بأنه قد حييته، وهذا ما لم يكن ولن يكون، فهو والآخر؛ وهما في الراهن (الشاعر والآخر)، وفي النص (الحسين عليه السلام، والشمر).

إنه إغراق الذات المعاصرة في عوالم الوهم، وفقدانها الشعور الإيجابي بذاتها، وهو مقدمة كافية لفقدانه الشعور بالوجود كله، وهي تتلوى من هلع التغييب والفقد والموت تحت طائل كوابيس محرقة الحروب، وآلة الإرهاب:

وركضتُ خلفك كي تموتَ ، فلا تموتُ ولا وصلتُك

من أين هذا الصوتُ ؟ قل لي ، ما سمعتُك !! بل سمعتُك

ماذا تريد ؟ وكيف تتبعني وعمريَ ماعرفتُك [٢٦]

وغير خاف أنه هنا على شفا جرف الوهم؛ لأنه يفارق الإدراك الحسي، ويدرك الواقع في غير ما هو، وأن الشاعر يعبّر عن ذات تتخبط في ديجور دامس، لتقذف بنفسها في غياهب المجهول، الذي هو صدى صادق لغياب الحقيقة، واختلاط الوقائع.

ولا شك أننا هنا نعي أننا نفصل بين الشاعر وقناعه -بتجوز مصطلحي-، أو بتعبير

آخر، بين الذات الموصوفة في النصّ، وبين معادلها خارج النص وهو الشاعر، فمحنة الذات هي محنة إنسان معاصر، طوّح به واقعه إلى حيث عواصف شك آسر، ورياح خواء فكري عاتية، أما محنة الشاعر؛ فهي مركبة؛ فمن حيث أنها ترجمان للحظة معيشة زجت بالشاعر وتطلعاته في كهوف لا يتصوّر أحد حجم ظلامها، كما يتصورها الشمر نفسه. ومن حيث أنها بإزاء العالمالأسمى والانقى للحسين بإزاء عالم مادي للإنسان المعاصر؛ فالشاعر على الرغم من محاولاته، ومواجده، ومجاهداته في الوصول إلى معرفة الحسين ، وإدراك كنهه.. صدمته توصّلاته اليائسة، وبواديه وارداته، وثمرات تجلياته، ونتاجاته البئيسة، وكل ما وجده دون مستوى ما يطمح من هدف! فأيقن أن عدم الإحاطة بمعرفته، هي معرفة يقينية به، هي فرادة له، وامتياز، وهي -من ثمّ- شكل من أشكال تمييزه، وأحدس -هنا- أن بالسياق حاجة إلى إيضاح أو توضيح، ولعلّني سأجدها في مقولة لعلّها صوفية تقول: - العجزُ عن الإدراكِ إدراكٌ-.

لذلك جاء النص تعبيرا مخلصا لهذا المخاض الإبداعي:

لا ، ما جهلتُك ، أنت تفضح خيبتي ، ولذاك خنتُك !
ما كنتُ خنتك ، ما صحبتُك كي أخونَك ، ما فهمتُك
كانت يدي يدَهم ، وسيفي سيفَهم ، والنقصُ يفتُك !!
إني رأيتُ الله في عينيك يسمو فانتهكتُك
ووجدتك القرآن يُتلى
صادحا حين اخترقتُك [٢٧]

حين يشعر الفرد أنه بمنزلة لاينبغي لمقامه أن يكون فيها،خانعا بأمضّ الفجائع وأوجعها، وحين يغزوه شعور بأن ثمة بونا شاسعا يفصله عن جوهره، وهو ما يعبر عنه أهل الفلسفة بعدم التوافق بين الوجود والماهية، سيبتغي إلى مصباح هداه الوسيلة، ليعرّي به الضعف والتخاذل، ويكون اللوذ به بمنجاة من القنوط والسوداوية.

وكيما يوغل في وصف قتامة المشهد، ولوثته، يقارب طهر الحسين ع الوضّاح، ونصاعته، التي تتعصى على كل نظير، وهو دأب بالسياق حاجة له ليتوضّأ بنوره الرسالي، فيمحق به ما انغرس في ثنايا الروح، من أطياف ذئاب الموت التي تترصد بالشاعر الدوائر، وتخيم على مشاهده رائحة الموت، وصقيعه، وليس ذلك سوى صدى لاعتلال صحي:

نذلٌ أنا ؟ ادري ، ولكنّي أخلّدُ لو طعنتُك
أنا كل قبح الأرض ، يحرجني نقاؤك فانتحرتُك
أنا نقصُ آبائي ويحرجني اكتمالك فاقتحمتُك
سأطارد الدنيا إذا تبقى وكل الوقت وقتُك (٢٨)

هو، إذن، جدل الأنا والآخر، جدل راهن ينضح مرارة وينزّ سقما وعذابا، وأمس ينث عطرا وعاطفة ورخاء، جدل الحياة والموت، جدل البقاء والفناء، جدل الخير والشر، جدل الحقيقة والوهم، جدل المادة والروح... لقد أرادالشاعر في لحظة تسجيلية واقعية ان يتعالى بروحه عن راهنمثقل بأوضار بصر سقيم، وسخام بصيرة قاتمة متهرئة، ومنطق فاسد أجوف، فلم يجد أمامه من سبيل سوى أنيستحضر لحظة تاريخية استوطنها الوهم، واهتز لها يقين التاريخ، استشرت فيها جائحات الشرور، لتعطّل مفهوم الإنسانية، وتنتهك دلالاتها، لتقف بإزاء لحظة أخرى تختزل معنى أن يكون الإنسان إنسانا، فيخطّ بدمه تاريخا بهيا، ما قعد به دونه وهن، ولا أعاقه كَلّ، ضحّى في سبيل إنسان العصور القادمة كلها، وقدم قرابين لم تطلع الشمس على أخوات لها، حين رأى الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهي عنه.

ولكن الله جلت قدرته، شاء أن يرفع (مصباح هدى)بعمد القلوب، فلما أضاء ما حولهم ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لايبصرون!، ولو كان أخذهم بظلمهم ما ترك عليها من دابة!

وشاء الله أن يُبقي منهم دارا وديارا، بل ديارا وديارين لحكمة يعلمها، وقدّر للأرض أنها إن خليت منهم قلبت..وشاء أن يتشرب الصراع عنده عليه السلام القيمة السامية،

والمثل العليا للإنسانية، وشاؤوا أن يوصلوه إلى ما دون الدرك الأسفل من دون!

وشاء أن يبقي الصراع، ويتخذ ضروبا وفنونا..

هذا هو منطق التاريخ ، وسيرورته، وصيروته فهل من المنطق في شيء القول بخلاف ذلك وقد قال قولته، وخط قلمه:

لا ثأر يرضيني ، فلا أنت الفرات وما منعتُك !

مازلتُ أعبث في العراق مفخخا مذ كنتُ خِفتُك [٢٩]

الحسين عليه السلام حبل موصول بذات الله

إنه كيان يضج في صدر الشاعر، ويعج، حتى ليملأ عليه روحه، وسيتخذه مجلى من مجالي الجمال وشكلا من أشكال التغني بجمال الذات الحسينية، التي سعى لها جريا وراء التكامل بها لا بوصفه ذاتا بل بوصفها الجزء المتمم لهويته، ومن ثم فهو يروم العلوّ والتسامي بمحبوبه عن اردان، وأكدار دنياه:

بي كربلاء اتُمن العطش القديم وبيجراح من هواك ندية[٣٠]

لذلك سيتسامى بالسطوع الخلاق لصورة الحسين عليه السلام ، وما يكتنف توظيفها من ثراء هو لا شك معطى من معطيات ثرائها، وجنبة من جنبات عطائها الذي لا ينضب:

لي أن أزغرد في هواك قصيدةً

ولهم جميع جحافل اللطمية[٣١]

فماذا يبتغي الشاعر غير مقوِّم شعري لا يجف له عطاء، ولا ينضب له معين، ولا ينفد له تدفق:

لي أن ادوسَ على مزيدٍ من يزيد لأرتقي بعوالمي الشعرية[٣٢]

ذلك الحبّ الذي يملأ عليه أفقه، ويهيمن فعله الجارف على المشهد، ويكتسح سائر الملفوظات في جمله اللغوية حتى لا يدع لاسم المحبوب من موضع، (يا احبك)، في مقام التماهي الذي اكتنف الشاعر، في حبّه لمن كانت مودته عليه السلام، والبكاء عليه شعيرة يُوفَّى به

أجر رسالة سماوية، وأرّخ بها بقاء تلك الرسالة التي صارت محمدية الوجود حسينية البقاء:

اني احبك يا (أحبك) منذ أن نبض الفؤاد بدمعة مسبية[٣٣]

وأنّى له أن يلذّ له عيش، ويستطيب حياة، وكل ما حوله يُتْخمه بصادرات مهد الواقع من القباحات والخيبات والسوءات والعورات، وبما يتماوج فيه من صور الفجائع بسخاء!

لذلك سيعاين وجوده، ويطيل التأمل في حياة خبر كنهها، وذاق طعمها، ومارس شوطها...فيقدر سريعا، أنها أولى أن تعاف!؛ فهي تميت همة الفرد وتكبح جماح دافعيته، وتُعْمِل في وجوده محراثها، وسيستبد به هجيرها، فيمسه طائف من الطف، وتحيط به ظلال الطف، فيفتح ذراعيه لاستقبال أمنيته، متمنيا أن تكون على غرار نهاية بطلها عليه السلام:

احتاج جداً ان اكونك كم يزيد يحيطني لأحقق الأمنيّة
ياسيدي انا كل ما احتاجه طفٌ فشمري يعتلي رئتيّهْ
الأعدقاء تبدلت اثوابهم لكنما اسماؤهم وثنية[٣٤]

أنه يحيا موته في عالم مادي يراه حالكا، ولا يخشى فوات شيء فيه، فكل ما فيه من مرديات كأنما تناسلت من لحظة الطف، ثم خضعت لنواميسها العصور، وجُبِل ناسها بسوادها، ونُسِخ زمنها، وعاد أهلها يضمرون ما هو أهل له من الولاء ويظهرون ما لا يستحقه من عداء، فهم بزيّ أصدقاء، وقلوب أعداء؛ لذلك نحت لهم الشاعر من وحي هذه الدلالة (الأعدقاء).

ستستتر خلف حروف (الحسين) عوالم مشحونة بالحياة والانبعاث والخلود، لإن موته لم يكن إلا حياة، كيف لا وأن كربلاء التي شهدت موته صارت آية الحياة الكبرى، فطبيعيّ، والأمر كذلك، أن يكون موت الشاعر الذي اختطّه لنفسه منطلقا لحياة جديدة من منظور صوفي:

سأعطر المعنى وأُلبسُ أدمعي كحلاً لأبدأ مطلع الاغنيّة
سبحان من اسرى بنزفك للعيون فبُشِّرَتْ .. إن الدموع نبيّة
احتاج مائدةً وخمرا،سوف أسكر في هواك بنزهةٍ صوفية[٣٥]

إن خمرته وسكره –هنا– ما هي إلا خمرة المعرفة الباطنية، وسكرها الروحي ونشوتها النورانية التي توصل المتعاطي إلى مراتب السمو ، ودرجات الرفعة الروحية، وتهدف إلى تنقية النفس وتطهيرها في رحلتها باتجاه المقدس:

وكيف تموت وتبدو معي
اراك تدرّ هدوءا عَلَيّا
لذلك يا ميتا لا يموت
ولستَ الهاً ولستَ نبيا
تساميتَ ؛
ليس المباح المراد نقياً بدونك يبدو نقيا [٣٦]

إنها خمرة اسكرته عند التأمل في الحسين عليه السلام وانتشى بعطر السيرة والتذّ ببهائها. ولا شكّ أن ثمة مخبوءا خلف حروف هذا النسق اللغوي، وهو مما لا يستدعيه هذا السياق هنا، وعنوانه أنه لا سبيل إلى قلب طاولة الراهن، سوى انتظار يوم عاصف يزلزل الواقعة، وأنّى للفرد ذلك، وهو يجد نفسه محطم القوة والفعل والإرادة!!؛ لذلك سينطوي على ذاته، جراء عدم التوافق مع الوجود، ويهيمن عليه إحساس حقيقي بأن ثمّة هوّة شاسعة بين وعيها و واقعها العيني فتقع بين فكي الاغتراب، وسيقارب توافقا آخر شبيها بعالم الصوفي، حين يفنى عن ذاته، ويبقى بمحبوبه:

تقود المعاني فوق السطور
وتسحل خلفك رمحا سبيا
لماذا اراك

ولست هناك

لعلك حولي ؛

لعلك فيّا

حبيبَ الفرات وكل حبيبٍ

بيوم اللقاء يكون عصيا

وكنتَ محبا لحد الدماء

وكان خؤونا ومات شقيا

هو العشق يا اطهر العاشقين

يحب الغموض ويبدو جليا

لذلك كنت اعود اليك

لتمسح خدي وتصغي اليا

اطير لحيثك لا استطيع

فكيف تبرهنت قربا قصيا[٣٧]

كان عليه أن يخطو مراحل ويتجاوز محطات قبل الوصول إلى المعشوق والحلول فيه، فحال سكره يعقبه الترقي إلى حال أرقى حيث الحضرة العلية، وليس مغادرة الصحو، وتوديع الحواس لوظائفها، والغيبة عن الأعيان.

كأننا به في سعي دؤوب لينعتق من راهنية المعيش، ويحيا حالة شفيفة من التصوّف ستفعل فعلها في تمييع الحواجز بين أناه الفردية و المطلق ليلتحم به. ولا نريد أن ننسب هذه الحالة إلى النزوح الصوفي، ولكنه معراج روحي في رحلة حب على مقربة من الصوفية، على نحو كأنما يتمثل به لافتة صوفية تقول: – حقيقة المحبة أن تهب كُلك لمن أحببت فلا يبقي لك منك شيء– [٣٨]

لا القلب .. ان القلبَ قلبُك

لا الحب .. ان الحب حبك

لا الشوق لا الظمأ الذي

لاينتهي فالماء قربُك

اني أحبك كي أكونَ ومنذ كنتُ أنا أحبك [٣٩]

إن الشاعر وهو يبحث عن الخلاص، وفي محاولة منه لترسيخ خطاه، وتعزيز طموحه، يستنجد بالمخلّص الاشهر، والأقدر، والأظهر، وهو الحسين عليه السلام، وكأن غاية مطاف حبه، هو أن يستغرق في نشوة فنائه في محبوبه، فلا يعد له شيء في زوايا الروح وخفايا النفس: قلبا وحبا وشوقا... وكأننا بالشاعر يجاهد نفسها من أجل البرء من دنسها، ومن تنافر مفردات حاضره بشكل صارخ، وطغيان الحسّ النقيض فيه، فيتفيأ فيه ظلال الله الوارفة:

وهناك تنزيلٌ من النزف العظيم

وايةٌ طفلٌ ووحي ماثل

الوحي يتلو....

ماتيسر من حسين الله

لكن الظلام قبائل[٤٠]

إن ما يهديه الراهن للفرد المعاصر من ضروب الموبقات لكرامته ، وشتى المنافيات لقيمه، جعلته يتخذ الحسين مسارا ومنارا، ويهتدي بهديه. لذلك فالنص (يباهي) بين تجربتين أولاهما إقبال الحسين عليه السلام على ربه، والأخرى هي البحث المحموم عن مخلّص ستشخص هنا في تجربة مستترة هي إقدام الفرد على الحسين عليه السلام.

لقد طفا على النص حب غير مشوب بشوائب الحس و النقص، أوصل صاحبه إلى مقصده الأسمى إلى الذات المقدسة على نحو يشبه الفناء فيه، أو الاتحاد معه، على النحو الذي أظهر النص شيئا من لوازمه؛ حيث نزف دمه الزكي تنزيل مبارك من حكيم

حميد،وحيث يريهم الله آية دم أوداج وليده، تنبعث فوارتها في الآفاق حتى يتبيّن لهم أنه الحق من ربهم، وثمّة (وحي) يتلو عليهم الذي أوحي من قبلُ، ولكنهم يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، وكانوا معرضين عن أئمة يهدون بأمر الله ووحيه. نعم كان الوحي (يتلو) (ما تيسّر من) (حسين الله) ولكن ليس سوى انعدام للتواصل اللغوي ولغير اللغوي؛ فلا يسمع الصم الدعاء.

سيغدو الحسين عليه السلام، بمثابة مخبأ للوجع، وملاذا آمنا من طواغيت الأرض، وظلمها، وأمثولة مكللة بالنضار تهدّ صروح الجور وعروشه الخاوية، وتخترق إليهم الجغرافيات، وتعبر الأزمنة لتهددهم. والنص هنا يمارس لذاذاته، منفلتا من زمنه، الذي استشرت فيه جوائح لتصيب طموحه، فجللته إشراقات الطهر الحسيني، المنبثقة من علّيّين، والنص مصداق من مصاديق انبثاقها.

فالشاعر جسّ ذلك الوجع، ليستخلص منه بلسما، مختَزِلا مقصده الاسمى باعتزال الخلق للاتصال بالحقّ، وما من سبيل للوصول إلى ذلك سوى الحبّ، الذي سيفتح حامله أحضانه لاستقبال الموت؛ لا ليتخلص من عبء ما يلاقيه من أهوال، بل لأنه وحده من يدعه يشبع رغبات هذه النفس ويحقق حظوظها من الرؤية، ومن ثم السعادة القصوى، عندما تتبرأ من كل عوالقها وعلائقها، فتصفو، على شاكلة مسعى الصوفي في الوصول إلى الفناء التام بعد مغادرته الهوى.

الهوامش

١.قصيدة : مقطع من انتفاضة الماء، منشورة في http://alqasedpoetry.blogspot.com/ 11/11/2013

٢.قصيدة قمح الدعاء، منشورة في http://alqasedpoetry.blogspot.com/، 13/11/2013.

٣.المصدر نفسه.

٤.قصيدة : عتب على وطني ، منشورة في مركز النور: http://www.alnoor.se، في 15/10/2008.

٥.قصيدة: غزل في الحسين، منشورة في مركز النور: ١٨/ ١٢/ ٢٠١٠ http://www.alnoor.se.

٦.قصيدة: تراتيل من سورة الطف ، منشورة في مركز النور، http://www.alnoor.se ، في 07/01/2009.

٧.المصدر نفسه.

٨.المصدر نفسه.

٩.المصدر نفسه.

١٠.المصدر نفسه.

١١.المصدر نفسه.

١٢.قصيدة مسيح الفرات، منشورة في مركز النور: http://www.alnoor.se، في 12/01/2008.

١٣.قصيدة: حزين على الشمر، منشورة في: http://alqasedpoetry.blogspot.com/ في 22 / 10 / 2015.

١٤.قصيدة مسيح الفرات، منشورة في مركز النور: http://www.alnoor.se، في 12/01/2008.

١٥.المصدر نفسه.

١٦.قصيدة : سادن الماء ، منشورة في مركز النور:http://www.alnoor.se، في : 15/01/2008.

١٧.المصدر نفسه.

١٨.قصيدة مسيح الفرات، منشورة في مركز النور: http://www.alnoor.se، في 12/01/2008.

١٩.قصيدة: غزل في الحسين، منشورة في مركز النور: 18/12/2010 http://www.alnoor.se.

٢٠.قصيدة: تراتيل من سورة الطف ، منشورة في مركز النور، http://www.alnoor.se ، في 07/01/2009.

٢١.قصيدة: غزل في الحسين، منشورة في مركز النور: ٢٠١٠/١٢/١٨ http://www.alnoor.se.

٢٢. قصيدة : مقطع من انتفاضة الماء، منشورة في http://alqasedpoetry.blogspot.com/

11/11/2013

٢٣.قصيدة: رسالة من الشمر إلى الإمام الحسين ع، منشورة في http://alqasedpoetry.blog-spot.com/، في 2/11/2014 ،

٢٤.المصدر نفسه.

٢٥.المصدر نفسه.

٢٦.المصدر نفسه.

٢٧.المصدر نفسه.

٢٨.المصدر نفسه.

٢٩.المصدر نفسه.

٣٠.قصيدة: غزل في الحسين، منشورة في مركز النور: ١٨/ ١٢/ ٢٠١٠ http://www.alnoor.se.

٣١.المصدر نفسه.

٣٢.المصدر نفسه.

٣٣.المصدر نفسه.

٣٤.المصدر نفسه.

٣٥.المصدر نفسه.

٣٦.قصيدة مسيح الفرات، منشورة في مركز النور: http://www.alnoor.se، في ١٢/ ٠١/ ٢٠٠٨.

٣٧.المصدر نفسه.

٣٨.المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، (المتوفى: ٩٢٣هـ)، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ،د. ت. ج ٢، ص٦١٤.

٣٩.قصيدة : مقطع من انتفاضة الماء، منشورة في http://alqasedpoetry.blogspot.com/ ١١/ ١١/ ٢٠١٣

٤٠.قصيدة: تراتيل من سورة الطف ، منشورة في مركز النور، http://www.alnoor.se ، في ٠٧/ ٠١/ ٢٠٠٩.

المصادر والمراجع

١.قصيدة: تراتيل من سورة الطف ، منشورة في مركز النور، http://www.alnoor.se ، في ٢٠٠٩/٠١/٠٧.

٢.قصيدة: حزين على الشمر، منشورة في: http:// alqasedpoetry.blogspot.com/ في ٢٢ / ١٠ / ٢٠١٥.

٣.قصيدة: رسالة من الشمر إلى الإمام الحسين عليه السلام، منشورة في http://alqasedpoetry. blogspot.com/، في 2/11/2014 .

٤.قصيدة : سادن الماء ، منشورة في مركز النور:http://www.alnoor.se، في : 15/01/2008.

٥.قصيدة : عتب على وطني ، منشورة في مركز النور: http://www.alnoor.se، في 15/10/2008.

٦.قصيدة: غزل في الحسين، منشورة في مركز النور: http://www. 18/12/2010 .alnoor.se

٧.قصيدة : قمح الدعاء، منشورة في http:// alqasedpoetry.blogspot.com/، 13/11/2013.

٨.قصيدة مسيح الفرات، منشورة في مركز النور: http://www.alnoor.se، في 12/01/2008.

٩.قصيدة : مقطع من انتفاضة الماء، منشورة في http://alqasedpoetry.blogspot. com/ 11/11/2013.

١٠.المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلانيالقتيبي المصري، (المتوفى: ٩٢٣هـ)، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ،د. ت. ج ٢، ص٦١٤.

الإمام السجاد عليه السلام رائد الإصلاح الاجتماعي في العصر الأموي(دراسة من خلال رسالته (الحقوق))

م.د. حيدر لفته سعيد

جامعة الكوفة

كلية الآداب / قسم التأريخ

ملخص البحث

لقد اتبع الحكام الامويين اساليب عديدة كان من شأنها ارساء دعائم حكمهم ، وبطبيعة الحال كان لهذه الاساليب انعكاساتها الخطيرة على بنية المجتمع الاسلامي الفكرية وادائه السياسي والديني والاجتماعي بما بثه الامويون من انماط اللهو والطرب ودور الميسر ومجالس الغناء والجواري وبذل المال واستقدام الشعراء وجعل المجتمع يصطبغ بصبغة جاهلية بعيدة كل البعد عن المجتمع الاسلامي الذي ارساه النبي محمد صلى الله عليه وآله الذي كان العدل والمساواة والتمسك بأهداب الدين ابرز اسسه ، فاصبح يعيش متغيرات كثيرة ابتدأت من الانسان وانطلقت بقوة نحو تغيير المجتمع ككل ، لذا انبرى أئمة اهل البيت عليهم السلام الى مواجهة هذا الانحراف عن الخط الاسلامي تارة بالكلمة والسيف كما حصل مع الامام الحسين عليه السلام والذي قمعت ثورته وتم الانتقام منه ومن اهل بيته شر انتقام ، ولم يبق من البيت العلوي بعد واقعة الطف سوى ولده الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام ، وكان الاصلاح بالسيف متعذرا عليه لأسباب عدة لذا سعى للدفاع عن حياض الاسلام واصلاح الفرد بل والمجتمع الاسلامي بالقول والفعل تحقيقا لقول جده النبي صلى الله عليه وآله « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » فما بالك وهو امام هذه الامة .

وتعد رسالة الحقوق احد ابرز مصاديق الجهود الاصلاحية التي سعى من خلالها الامام تحقيق الاصلاح المنشود- الذي ابتغاه أبيه السبط – في الفرد وانطلاقا نحو المجتمع بل وحتى الاقليات المتعايشة معه سلميا .

لقد اخترت موضوع البحث من اجل تسليط الضوء على النصوص الاصلاحية التي بثها الامام لتقويم المجتمع من خلال رسالته في الحقوق ، وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه الى مقدمة وتمهيد وخمسة محاور وخاتمة ، تناول الاول حق الله (جل جلاله) على الفرد ، اما الثاني فتناول حقوق حواسه عليه ، فيما درس الثالث الحقوق الدينية (الشرعية) المترتبة عليه ، اما الرابع فعكف على حقوق اسرته التي ولد ونشأ فيها فضلا عن اسرته التي كونها وتوابعها ، فيما اشتمل المحور الخامس والاخير حقوق المجتمع عليه ، واختتمت البحث بثمار هذه الرسالة .

ABSTRACT

Ummayds take seizure of different machinations and policies to dominate the state wreaking havoc of the society as they encourage all the acts of abominations and vice :all kinds of amusement ،singing، gambling houses ،singing meetings ، slaves ،money extravagance and poets summoning ; all these lead to dye the society primitive and far distant from the Islamic community whose foundation stones of justice and equality are erected by the prophet Mohammed . That is why the imams plunge into confronting such violations sometimes by word، sometimes by sword . Al-Huquq as a thesis is considered as the most evident efforts in reforming the society.

The current study focuses upon the reformative texts the imam conveys to all and tends to be bifurcated into an introduction ،five axes and a conclusion ، the first tackles the rights of Allah on man ،the second does his senses on him ،the third does the religious rights on him ، the fourth does the rights of his family and relatives and the fifth does the rights of the society on him ، finally the conclusion terminates at the results.

المقدمة

لا يغفل المتتبع لسيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام أن جزءاً كبيراً من حياتهم وظفوها لإصلاح مجتمعاتهم وتقويم سلوكها بفعل ما أصابها من انحرافات ومتغيرات سلبية بفعل تسلط أئمة الغلبة عليهم ، و لعل الإمام السجاد عاش أصعب فترة كانت تقتضي الإصلاح بعد استشهاد أبيه الإمام الحسين عليه السلام من أجل تحقيقه .

لقد سعى الإمام السجاد عليه السلام لإصلاح أمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله استكمالاً لرسالة أبيه عليه السلام بالقول والفعل ، فوقف بوجه المشبهة والمجسمة ، والجبرية والمرجئة ، وقوم أئمة زمانه ، وساعد الفقراء وحرر العبيد ، ودعا إلى التكافل الاجتماعي وكان أبرز من طبقه قولاً وعملاً إلا أن تقويم الفرد في العصر الأموي كان يحتاج إلى حل أنجع واوقع وأشمل مما قام به عليه السلام فوضع رسالة الحقوق التي احتوت على مضامين سابقة لعهده بآلاف السنين لوضع الإنسان المسلم على الطريق الصحيح بعيداً عن مؤثرات ومتغيرات الفكر الأموي . ومن أجل تسليط الضوء على جهود الإمام الإصلاحية من خلال رسالة الحقوق قمت بإعداد هذا البحث الذي احتوى على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة ، ضم الأول، حقوق الله تعالى على الفرد وشمل حقوق الأفعال (الشرعية) فيما درس المبحث الثاني حقوق الجوارح يتقدمها حق النفس، واهتم الثالث بحقوق الرحم ، فيما بحث الرابع حقوق الآخرين وكان أوسعها ، واختتمت البحث بثمار الرسالة.

التمهيد

إن انفراط أمر الشيعة بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف الأليمة سنة ٦١هـ وتشتت قواهم كان من أعظم الأخطار التي واجهها الإمام السجاد عليه السلام – الناج الوحيد من الرجال في تلك الوقعة بكربلاء – وكان عليه بعد رجوعه إلى المدينة – وهو الإمام وقائد المسيرة – أن يخطط لاستجماع القوى وتكميل الاعداد من جديد ، وكان هذا الامر بحاجة إلى إعداد نفسي وعقيدي وأحياء الأمل في القلوب وبث العزم في النفوس[١] خاصة وأن البناء السياسي والديني والاجتماعي الذي أرساه الأمويون في دولة رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ ينمو ويعلو على حساب الثلة المؤمنة ممن لا يستطيعون الوقوف بوجه المتغيرات التي أسست لها السلطة وعملت على تعميقها في المجتمع الإسلامي بما أشاعوه من أنماط اللهو ومجالس الميسر والغناء واستقدام الجواري والشعراء ، وبذل المال لاصطناع من يريدون وكيف يشاؤون لصبغ المجتمع بصبغة جاهلية بعيدة كل البعد عن كل ما أسس له النبي صلى الله عليه وآله على مدى ثلاثة وعشرون عاماً، ولا ريب لم يكن من وراء ذلك حبهم الفاضح للملذات حسب ، بل كان الهدف الكامن هو إماتة الروح الإسلامية الصحيحة في النفوس – كما أسلفنا – فلا يهم الناس بعد ذلك أمر الخلافة والمطالبة برفع الظلم والاستهتار طالما أن المال ميسور أمام فراغ الشباب والجواري وانتشار الموبقات والمحرمات[٢] .

لقد هيأ الأمويون الأذهان أيضاً لقبول الرأي القائل بأن الخلافة ليست ملكاً قيصرياً أو كسروياً ، بل أن الله تعالى لم ينص على إمام بعينه بل هي تؤخذ بالقهر والغلبة[٣] .

في وسط هذا المجتمع المريض كان لا بد للإمام السجاد أن يداوي هذه النفوس لتتخلص من أمراضها وتعرف حدودها وترجع إلى الأخلاق الإسلامية السامية التي تعيد للأمة الإسلام السليم الذي كاد الأمويون أن يقضوا عليه بأعمالهم الباطلة وآرائهم المنحرفة وتصرفاتهم التي لا تليق بأمة مرموقة ، حتى أوشكت أن تهدد بخطر عظيم [٤].

وبالفعل سعى الإمام السجاد لتأسيس بناء جديد وفق رؤية مفادها أن بناء جديد هو أسهل وأمتن من ترميم بناء متهرئ [٥] ، ونعني بذلك بناءية الفكر المسلم نظرياً وعملياً ، ولتحقيق هذا الهدف شرع الإمام السجاد باتخاذ عدة إجراءات لتحقيق مبتغاه ففي مجال العقيدة والفكر كانت عقيدة الجبر أخطر ما روجه الأمويون بين الأمة الإسلامية وذلك بما أشاعوه من فكرة الجبر الإلهي بهدف التمكن من التسلط التام على مصير الناس والهيمنة على عقولهم بعد أجسامهم فأوحوا للناس بان ما يقوم به الخليفة من فساد وظلم وجور وقتل ونهب وغصب هو من الله تعالى ، فالخليفة والأمير إنما ينفذون إرادة الله وهم يد الله على عباده ، فكيف يرجى من الأمة أن تواجه سلطة الظالم وهو مسدد – بحسب ما أشاعوه – من الله تعالى [٦] ولا ريب أن معاوية أسس لذلك بشكل لافت وقد ظهر ذلك بخطبة له جاء فيها : ((أنا عامل من عمال الله أعطي من أعطاه الله وأمنع من منعه ولو كره الله أمراً لغيّره))[٧].

وهذا ما أشار إليه الوالي الأموي عبيد الله بن زياد في الكوفة سنة ٦١هـ حين دخل عليه موكب سبايا أهل البيت عليهم السلام في مجلسه فأظهر أن علياً الأكبر ابن الإمام الحسين عليه السلام قد قتله الله ، فأجابه الإمام السجاد بل قتله الناس [٨].

فالإمام السجاد عليه السلام لم يترك هذه الفرصة دون أن يرد على أبن زياد ، كما أكد للزهري في معرض رده على سؤاله ((أبقدر يصيب الناس ما أصابهم ، أم بعمل ؟ فأجابه عليه السلام : ((إن القدر والعمل بمنزلة الروح من الجسد ... ولله فيه العون لعباده الصالحين ، وأضاف ، ألا ان من أجور الناس مَنْ رأى جوره عدلاً، وعدل المهتدي جوراً))[٩].

كما تصدى الإمام للانحراف الفكري والعقائدي الذي روج له المشبهة والملحدين وعبأه واحتضنه رجال السلطة من الامويين ، فنقرأ أنه عليه السلام عندما سمع ذات يوم في مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وآله قوماً يشبهون الله بخلقه ، بل وتجاسروا عليه عز وجل حين قالوا أن لله يداً وعيناً في المجالس العامة ، وأمام صمت الحاضرين نهض الإمام عليه السلام وأتى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فوقف

عنده ورفع صوته يناجي ربه قائلاً: ((إلهي بدت قدرتك ، ولم تبد هيئة جلالك فجهلوك وقدّروك بالتقدير على غير ما أنت به شبهوك، وأنا بريء يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك ليس كمثلك شيء – يا إلهي – ولن يدركوك ... ولو عرفوك ، وفي خلقك - يا إلهي - مندوحة عن أن يتأولوك ، بل ساووك بخلقك ، فمن ثم لم يعرفوك ، واتخذوا بعض آياتك رباً ، فبذلك وصفوك – فتعاليت – يا إلهي – عما به المشبهون نعتوك))[١٠].

وقد وقف الإمام السجاد عليه السلام بوجه تخرصات المرجئة الذي أرجأوا مرتبة العمل على الإيمان وأرجأوا الحكم على مرتكب الكبيرة إلى الله تعالى عملاً بقوله تعالى: ((وآخرون مرجون لأمر الله))[١١] . وكان معاوية أول من أظهر الاعتقاد بهذا الأمر وأشار بان الإيمان لا يضر معه ذنب ومعصية فتمادى في المعاصي غير مكترث بشيء قائلاً: وثقت بقول الله تعالى : ((إن الله يغفر الذنوب جميعاً))[١٢] بل أن هؤلاء روجوا أنهم الحكام الذين تجب طاعتهم وأنهم مؤمنون لا يجوز الحكم عليهم بالكفر ولا التعرض لهم ولا الخروج عليهم [١٣] فما كان من الإمام إلا أن أعلن قائلاً: ((نحن أئمة المسلمين ، وحجج الله على العالمين ، وسادة المؤمنين ، وقادة الغر المحجلين ، وموالي المؤمنين ، ونحن أمان اهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء ، ولو ما في الأرض منا لساخت الأرض ... ولولا ذلك لم يعبد الله))[١٤].

كما لم يبخل الإمام عليه السلام من إسداء النصيحة لأئمة عصره وإرشادهم إلى طريق الحق لا سيما في بعض المناسك كما هو الحال مع الحسن البصري [١٥] ومواقفه عليه السلام الرائعة تجاه إمام البلاط الأموي (الزهري)، ففضلاً عن الأمور المتعلقة بالتشريع ، نبهه إلى مفاسد الحكم الاموي ووجوب تركه [١٦] .

وكما هو شان أبيه السبط عليه السلام الذي قضى شهيداً من أجل تحقيق الإصلاح في امة جده رسول الله صلى الله عليه وآله نهج الإمام السجاد عليه السلام نفس المسلك ، إذ نقل أنه كان يجلس في مؤخرة مسجد النبي صلى الله عليه وآله بعد صلاة العشاء آخر الليل وكان يتحدث عن جور بني أمية ، ناهيك عن أنه آثر البقاء في المسجد دون بقية من أستاء من السلطة وكان له رأي عبر عنه عليه السلام بقوله :

((أن للحق دولة على العقل وللمنكر دولة على المعروف ، وللشر دولة على الخير، وللجهل دولة على الحلم ، وللجزع دولة على الصبر، وللخوف دولة على الرفق وللبؤس دولة على الخصب، وللشدة دولة على الرخاء... وللبيوت الخبيثة دولة على بيوت الشرف... فنعوذ بالله من تلك الدول ، ومن الحياة في النقمات))[١٧] .

وأخيراً في المجال النظري الذي لا يخرج عن مواجهة للسلطان وبناء المجتمع المسلم على أسس متينة وسليمة نجده اتخذ جانب الموعظة والإرشاد واعتمدها ركناً أساسياً في سيرته الحياتية في تبليغ الأمة فنراه تارة يلقي الخطب والمواعظ وأخرى نجده يخصص وقتاً لأصحابه يوجههم ويؤهلهم ويربيهم لتحمل الأمانة ، والتكليف الشرعي والتزام المسؤولية الاجتماعية مع توخي أن الحب والتقدير لآل البيت عليهم السلام لا سيما لشخص الإمام عليه السلام يجب أن يكون حباً واقتداءً بنّاءاً لا غلو فيه بقوله عليه السلام : ((أحبونا حب الإسلام ، فما زال حبكم لنا حتى صار شيناً علينا))[١٨] أي أحبونا بما يوافق قانون الإسلام ولا يخرجكم عنه حد الإفراط.

وكان الإمام عليه السلام يركز في لقاءاته وتوجيهاته على تحقيق المواساة والإحسان للآخرين بما يحفظ كرامتهم قائلاً: ((من قضى لأخيه حاجة قضى الله له مائة حاجة ، ومن نفسَّ عن أخيه كربة نفس الله عنه كربه يوم القيامة بالغاً ما بلغت ، ومن أعانه على ظالم له، أعانه الله على إجازة الصراط عند دحض الأقدام ، و من سعى له في حاجته حتى قضاها له فسر بقضائها ، كان كإدخال السرور على رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن سقاه من ظمأ ، سقاه الله من الرحيق المختوم ، ومن أطعمه من جوع أطعمه من ثمار الجنة ومن كساه من عُري كساه الله من استبرق الحرير، ومن كساه من غير عري لم يزل في ضمان الله ...))[١٩]. وقوله عليه السلام : ((أن أرفعكم درجات وأحسنكم قصوراً وأبنية ، أحسنكم إيجاباً للمؤمنين ، وأكثركم مواساة لفقرائهم ، أن الله ليقرب الواحد منكم إلى الجنة بكلمة طيبة يكلم بها أخاه المؤمن الفقير ...))[٢٠] .وقوله عليه السلام: ((من أطعم مؤمناً حتى يشبع ، لم يدر أحد من خلق الله ما له

من الأجر في الآخرة لا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا الله رب العالمين))[٢١] وقوله عليه السلام : ((من موجبات المغفرة إطعام المسلم السغبان – أي الجائع –))[٢٢] كما حض الإمام عليه السلام على صلة الأرحام فقال : ((من سرّه أن يمدَّ الله في عمره ، وأن يبسط له في رزقه ، فليصل رحمه ، فإن الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق تقول: يا رب صلْ من وصلني واقطع من قطعني...))[٢٣].

وأمام هذا الوصايا التي تحض على التكافل الاجتماعي نجد أن الإمام لم يأل جهداً في سبيل تحقيقها عملياً فقد كان يزاول عملية تموين الناس بدقة فائقة خاصة عوائل الشهداء والمنكوبين في معارك ضد السلطة ، وكان يقوم بذلك بسرية تامة ، حتى أخفى ذلك – في بعض الأحيان – عن أقرب الناس إليه فعن ابي حمزة الثمالي قال ((إن علي بن الحسين عليه السلام كان يحمل الخبز بالليل ، على ظهره يتبع به المساكين في ظلمة الليل ، ويقول: ((أن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب))[٢٤].

ونقل انه لما مات عليه السلام وجدوا بظهره أثراً، فسألوا عنه ، فقيل: هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل [٢٥] وروي عن شيبة بن نعامة : ((كان علي بن الحسين يبخل فلما مات وجدوه يعول مائة أهل بيت بالمدينة))[٢٦] وأجد ابن نعامة قالياً للإمام بوصفه بالبخل وهو الذي فك دين محمد بن أسامة بن زيد وقدره خمسة عشر ألف دينار وهو الذي كان يؤكد على استثمار المال بما يحقق المرؤة وهو الذي قاسم الله ماله مرتين[٢٧].

كما سعى عليه السلام لحل بعض القضايا الاجتماعية الفاسدة لا سيما العصبية القبلية والعنصرية التي شجع عليها الأمويون طيلة فترة حكمهم [٢٨] فقاومها عليه السلام بكل قوة وكان يقول ((لا يفخر أحد على أحد ، فانكم عبيد ، والمولى واحد))[٢٩] وعنه قال الدكتور صبحي ((كان الامويون يقيمون ملكهم على العصبية العربية عامة فيما كان زين العابدين (السجاد) يشيع نوعاً من الديمقراطية الاجتماعية بالرغم من أن دماً أصيلاً كان يجري في عروقه))[٣٠] بل أنه تزوج من أمة رغم انتقاد عبد الملك بن مروان له[٣١] كما تصدى لظاهرة الرق، وكان

يعامل أحدهم معاملة انسانية مثالية حتى وأن بدر منه إساءة، وكان يشتري العبيد والإماء ولا يبقي منهم أحداً أكثر من ستة أشهر [٣٢] حتى رُصد تجمعاً من السودان كانوا في المدينة من مريديه [٣٣] وعنه قال سيد الأهل : ((الزمن يمر وزين العابدين يهب الحرية في كل عام ، وكل شهر، وكل يوم، وعند كل هفوة ، وكل خطأ ، حتى صار في المدينة جيش من الموالي الأحرار ، والجواري الحرائر ، وكلهم في ولاء زين العابدين))[٣٤] ورغم كل هذه الجهود نلحظ أن الإمام السجاد شرع بوضع عمل فكري جبار كان أشبه بالقانون في جامعيته ودقته وواقعيته ربما بعد أن وجد أن كل الجهود المتقدمة كانت قاصرة – إلى حد ما – في توجيه المجتمع على نحو أمثل أو ربما في خطوة لبناء مجتمع وفق رؤية تكاملية تشمل البعيد والقريب والعدو والصديق والمقلد للإمام عليه السلام والمتمسك بأهداب السلطة وبلاط الملك لوضعه إمام حقوقه وواجباته أمام الله ونفسه والمجتمع ، صاغها عليه السلام برسالة تدل على عمق اهتمامه بكل ما يدور من حوله في المجتمع الإسلامي وجنباته النفسية والصحية والعقائدية والأخلاقية ، ورعاية لأمنه واستقراره ، وحفاظاً على تكوينه الإسلامي ، وفقاً لرؤيتي القاصرة فقد قسمت الرسالة إلى أربعة مباحث تضمنت خمسون حقاً أثبتها الإمام السجاد عليه السلام وهي :

الاول: حق الله تعالى وقد أضفت إليه حقوق الأفعال.

الثاني: حقوق الجوارح ويتقدمها حق النفس.

الثالث حقوق الرحم.

الرابع حقوق الآخرين.

المبحث الأول: حق الله تعالى وحقوق الأفعال:

أما حق الله وهو أول الحقوق فأشار الإمام عليه السلام قائلاً: ((فأما حق الله الاكبر عليك فأنك تعبده لا تشرك به شيئاً ، فإن فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة ويحفظ لك ما تحب منها))[٣٥].

ولا ريب أن هذا الحق كان الإمام عليه السلام قد أرسى له في مواجهة المشبهة والمجسمة والجبرية والمرجئة – الذين أظهروا تجاوزات عديدة على الباري عز وجل – طمعاً في تثبيت السلطة وتأسيساً لمجتمع يؤمن بذلك على حساب وحدانية الله تعالى ، فجاء الإمام عليه السلام بهذا المبدأ وهو كجده رسول الله صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى – بل بإرادة الله تعالى وتسديده ليؤكد أن وحدانية الله وعدم الإشراك به أعظم الحقوق، فضلاً عن التأكيد على الرفض المطلق لكل الآلهة التي صنعتها البشرية والتوجهات التي تشجع للأفكار الضالة بما يزعزع إيمان المسلم بربه فالإمام يؤكد أن في مقابل هذه العبادة بإخلاص تكون كفاية الله لعبده في أمري الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا يشعر بالسعادة النفسية والاطمئنان القلبي أما في الآخرة فيفوز – إذا تمسك بالله – بالخلود الأبدي ورضوان من الله أكبر[٣٦].

أما حقوق الأفعال وهي

أ–حق الصلاة : وأوضح الإمام عليه السلام بشأنها قائلاً: ((وأما حق الصلاة فإن تعلم أنها وفادة إلى الله، وإنك قائم بها بين يدي الله ، فإذا علمت ذلك كنت خليقاً أن تقوم فيها مقام الذليل، الراغب ، الراهب، الخائف ، المسكين ، المتضرع ، المعظم من كان بين يديه، بالسكون والإطراق ، وخشوع الأطراف ، ولين الجناح ، وحسن المناجاة ... والطلب إليه في فكاك رقبتك التي أحاطت به خطيئتك واستهلكتها ذنوبك))[٣٧].

هذه صورة الصلاة التي يريدها الله تعالى من عبده أوضحها الإمام لنا ، صورة العبد الكادح إلى ربه، الوافد عليه ، صورة الإنسان الضعيف الصغير ، يقف بين يدي الله العزيز الكبير، فالإمام السجاد عليه السلام هنا أعطانا لوحة جميلة في التعليم والتوجيه التي يجب على المسلم أن يكون عليها وقت الصلاة ، من السكينة والوقار ، وخشوع الأطراف ، وحسن المناجاة ، وأن يكون راغباً في ثواب الله ، راهباً ، متضرعاً، خاشعاً، خائفاً، كي تطاله رحمته[٣٨].

ب– حق الصوم : ووصفه الإمام عليه السلام بقوله : ((وأما حق الصوم عليك فإن تعلم أنه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وفرجك وبطنك ليسترك من النار وهكذا

نص الحديث الشريف ((الصوم جنة من النار)) فإن سكنت أطرافك رجوت أن تكون محجوباً وأن أنت تركتها تضطرب في حجابها وترفع جنبات الحجاب، فتطلع على ما ليس لها بالنظرة الداعية للشهوة والقوة الخارجة عن حد التقية لله ، لم تأمن من أن تخرق الحجب...))[٣٩].

إن الصوم من العبادات المهمة في الإسلام ، وهو رياضة روحية يتجرد الإنسان فيه عن كل شهوات الدنيا وعليه كما أكد الإمام صون اطرافه فيه ، أي أن يمسك لسانه عن الكذب وقول الباطل ، ويمسك سمعه عن الغيبة ، وفرجه مما لا يحل له ، وبطنه عن أكل الحرام ، وبذا يكون الصوم جُنة من النار ، ومنجى من عذاب الرحمن[٤٠].

جـ - حق الصدقة : وحقها كما ورد عن الإمام عليه السلام : ((أن تعلم أنها ذخرك عند ربك ، ووديعتك التي لا تحتاج إلى الأشهاد ، فإذا علمت ذلك ، كنت بها استودعته سراً أوثق بها استودعته علانية ... ثم لم تمنن بها على أحد لانها لك فإذا امتننت بها لم تأمن أن تكون مثل تهجين حالك منها إلى من مننت بها عليه لأن ذلك دليلاً على أنك لم تُرِدْ نفسك بها...))[٤١] .

لقد رغب الإسلام بكل الصدقات والهبات والعطايا التي ينفقها الإنسان لأنها تجعله يتفاعل مع المجتمع ويتحول إلى عنصر عطاء ، والعطاء إذا ما خرج عن نفس طيبة تتحسس آلام الناس ومعاناتهم يتحول من عمل إلى عبادة تعادل الصوم والصلاة ، وأكد الإمام عليه السلام ضرورة اعطاءها بالسر، وأن تكون خالية من المن حتى يعود ثوابها إلى منفقها وكي يكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٤٢].

د- حق الهدي ، وحقه بنص الإمام عليه السلام : ((فإن تخلص بها الإرادة إلى ربك والتعرض لرحمته وقبوله ولا تريد عيون الناظرين إليه ... واعلم أن الله يراد بالتيسير ولا يراد بالتعسير .. وكذلك التذلل أولى بك من التدهقن - أي التكبر – لأن الكلفة والمؤونة في المتدهقنين ، فأما التذلل والتمسكن فلا كلفة فيهما ، ولا مؤونة عليهما ، لأنهما الخلقة وهما موجودان في الطبيعة ...))[٤٣] . والهدي فريضة من فرائض الحج تمتاز بطابع عبادي، وهي

ما يذبحه حجاج بيت الله الحرام من الأنعام في مكة أو منى ، وقد أكد الإمام في موضع النص بأن يجب أن يكون – الهدي – خالصاً لوجه الله تعالى غير مشفوع بأي مظهر من مظاهر الكبرياء كالرياء وطلب السمعة ، لأن الله تعالى يقبل اليسير لا بالعسير وبالتذلل لا التكبر عملاً بقوله تعالى : ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)) [٤٤] والهدي أخيراً هو يرمز إلى العطاء الكريم والفداء العظيم ، وأن على المسلم أن يكون على استعداد دائم لهذا الطقس العبادي المتضمن العطاء والفداء خالياً من الشوائب العالقة في النفس.

المبحث الثاني/ حق النفس وحقوق الجوارح:

واستهل الإمام عليه السلام الحديث **بحق النفس** فقال : ((وأما حق نفسك عليك فإن تستوفيها في طاعة الله عز وجل فتؤدي إلى لسانك حقه وإلى سمعك حقه وإلى بصرك حقه وإلى يدك حقها...))[٤٥] في دعوة من الإمام إلى إصلاح النفس البشرية إصلاحاً ربانياً شاملاً كي تؤدي دورها المطلوب في طاعة الله تعالى لان منها المنطلق لعملية الإصلاح الشاملة [٤٦] وجهادها يأتي بالمرتبة الأولى كما وصفهُ رسول الله صلى الله عليه وآله بالجهاد الأكبر[٤٧]

أما حقوق الجوارح فأولها:

أ-حق اللسان ، وأورد الإمام عليه السلام عن حقه : ((إكرامه عن الخنى – أي الفحشاء – وتعويده على الخير، وحمله على الأدب وإجمامه إلا لموضع الحجة والمنفعة للدين والدنيا، وإعفاؤه عن الفضول الشنعة القليلة الفائدة التي لا يؤمن ضررها مع قلة عائدتها ... وتزين العاقل بعقله وحسن سيرته في لسانه ...))[٤٨] والمعروف هنا أن اللسان آلة النطق والمترجم عنه الفعل وهو أهم الجوارح في بدن الإنسان وأخطرها على حياته فهو سلاح ذو حدين لذا دعا الإمام الحكيم عليه السلام إلى سيطرة الإنسان على لسانه والزامه بمراعاة عدة أمور بما يعزز مكانته كـ :

١-البعد عن الخنا – الفحشاء – لأنها توجب المهانة.

٢-إمساكه عن الكلام إلا لموضع الحاجة في أمور الدين والدنيا.

٣-تعويده على قول الخير وما ينفع الناس.

٤-إبعاده عن الخوض في فضول القول بما لا يعود عليه بالخير [٤٩] تأسياً بقوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾[٥٠] .

ب-حق السمع وعنه أشار الإمام عليه السلام : ((وأما حق السمع فتنزيهه عن أن تجعله طريقاً إلى قلبك إلا لفوهة كريمة تحدث في قلبك خيراً، أو تكسب خلقاً كريماً، فإنه باب الكلام إلى القلب...))[٥١] وهنا الإمام عليه السلام يشير أن السمع هو جهاز نقل المعلومات إلى الدماغ وعلى أساسه يتبدل حال الإنسان من حال إلى حال فإن سمع فكرة رسالية تفاعل معها وتحول إلى عنصر خير، عامل به ، وأن سرت لاذنه فكرة هدامة ملوثة بالإلحاد تحول إلى مجرم يعمل المحرمات دون وازع ، وهي بالنتيجة تقسي القلب وتفسده))[٥٢] لذا أمرنا الله بمغادرة المكان الي يستهزأ فيه بآياته بقوله تعالى: ﴿ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ... ﴾[٥٣] لذا علينا أن نجعل الجهاز السمعي بريداً صالحاً لنقل الآداب الكريمة والفضائل الحسنة[٥٤].

ت-حق البصر وحقه : ((فغضه عما لا يحل لك ، وترك ابتذاله إلا لموضع عبرة تستقبل بها بصراً أو تستفيد بها علماً فإن البصر باب الاعتبار))[٥٥] .

ومن هنا نفهم من كلمة الإمام عليه السلام أن للبصر حق على الإنسان في عدم إطلاقه في غير رحابه أو حدوده المسموح بها ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾[٥٦] فهو حجة على الإنسان إذا ما نظر إلى ما حرم الله، وهو مفتاح الولوج لاقتراف الآثام ، فينبغي على المسلم غض البصر ، والإمام عليه السلام يأمر بالاستفادة من نعمة البصر بالبحث في العلوم النافعة بما يعود بالخير على مجتمعه ، فعلى الإنسان رعاية هذه النعمة وصونها عن الابتذال[٥٧] .

ث-حق الرجلين ، وقد وجه الإمام عليه السلام بأن ((لا تمشي بهما إلى ما لا يحل لك ولا تجعلهما مطيتك في الطريق المستخفة بأهلها فيها ، فإنها حاملتك وسالكة بك مسلك الدين والسبق ...))[٥٨] وهنا الإمام عليه السلام يؤكد أن الرجلين أما أن تقود صاحبها بإرادته إلى مسالك الخير

كإعانة مؤمن أو تنفيس الكربة عنه ، أو أداء الحج ، أو في الجهاد في سبيل الله والدفاع عن حقوق العباد ، أو السير بها لإيقاع المحرمات والآثام فعلى الإنسان أن ينظر مواطن الثواب فييمم وجهه نحوها ، ويدرك مواطن الشر فيجنب قدميه عنها[٥٩]

ج-**حق اليد** ، وحقها ((... أن لا تبسطها إلى ما لا يحل لك ، فتنال بها تبسطها إليه من الله العقوبة في الآجل ومن الناس بلسان اللائمة في العاجل ولا تقبضها مما افترض الله عليها ولكن توقرها بقبضها عن كثير مما لا يحل لها ، وبسطها إلى كثير مما ليس عليها...))[٦٠]

ويعرض الإمام هنا أن لليدين حقوقاً فإن بسطها الإنسان في الشر سمي سارقاً ومجرماً ووسم بمسيم السارق الوضيع، وكذا الحال أن امتدت يده بايقاع الأذى بالناس وظلمهم، أما إذا مدت لمساعدة الناس واعانتهم بما هو متيسر كان له عند الله حسن الثواب .

ح-**وأما حق البطن**: ((فأن لا تجعله وعاء لقليل من الحرام ولا لكثير ، وأن تقتصد له في الحلال ولا تخرجه من حد التقوية إلى حد التهوين ، وذهاب المروءة ، وضبطه إذا همَ بالجوع والظمأ فإن الشبع المنتهي بصاحبه إلى التخم مكسلة ، ومثبطة ... وأن الري المنتهي بصاحبه إلى السكر مسخفة ومجهلة...))[٦١].

وفي النص دعوة من الإمام إلى جملة أمور:

١-أن لا نجعل البطن وعاء للحرام فتتغذى بمال مغصوب فيؤدي بالإنسان إلى الانحراف عن الطريق القويم .

٢-الاعتدال في الأكل وعدم الإسراف به وعدم الإسراف بالشراب أيضاً لأن كلاً منهما يعود بالضرر عليه.

٣-إشارة ضمنية إلى جعل الطعام وسيلة لمواصلة الحياة والعمل بما يحقق رضا نفسه والناس والله تعالى.

٤-الانتهاء عن اكل الميتة ولحم الخنزير والمسكرات والمخدرات لأنها تقزز النفس وتذهب بالمروءة[٦٢].

خ-وحق الفرج : ((فحفظه مما لا يحل لك والاستعانة عليه بغض البصر، فإنه من أعون الأعوان ، وكثرة ذكر الموت ، والتهدد لنفسك بالله ، والتخويف لها به ، وبالله العصمة والتأييد ...))[٦٣] وهو نص يدلنا إلى عدة مفاتيح تحقق تحصين الفرج وعفاف الإنسان هي:

١-غض البصر لأنه أعون الأعوان – بحسب قول الإمام المعصوم – للوقوع في الحرام.

٢-الإكثار من ذكر الموت، لأنه يزهد الإنسان في طلب الملذات ، ويطفأ حب الشهوات في نفسه كما أن ذكر الموت يقضي على هيجان الشهوة الجنسية.

٣-التخويف من عقاب الله العظيم جراء ارتكاب الزنا.

المبحث الثالث/ حقوق الرحم

ولدى استعراضه عليه السلام للحقوق وجه نظرة صائبة نحو الأرحام وأدلى بحقوقهم كما يلي وفق ترتيبه:

أ-حق الأم وقال عليه السلام عنه: ((فحق امك أن تعلم أنها حملتك ، حيث لا يحمل أحدٌ أحداً، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحدٌ أحداً، وأنها وقتك بسمعها وبصرها ، ويدها ورجلها، وشعرها ، وبشرها ، وجميع جوارحها ، مستبشرة بذلك ، فرحة موبلة – باستمرار – محتملة لما فيه مكروهها ، وألمها ، وثقلها، وغمها ، حتى دفعتها عنك يد القدرة وأخرجتك إلى الأرض ، فرضيت أن تشبع وتجوع هي، وتكسوك وتعرى ، وترويك وتظمأ ، وتظلك وتضحي ، وتنعمك لبؤسها ، وتلذذك بالنوم بأرقها ، وكان بطنها لك وعاء، وحجرها لك حواء – أي حافظ يحميك – وثديها لك سقاء ونفسها لك وقاء ، ... فتشكرها على قدر ذلك ...))[٦٤].

إن الأم هذه الكلمة العذبة الطيبة التي تفيض عطفاً وحناناً، وحباً، وإخلاصاً إنما هي تمثل العطاء بمدلوله الإسلامي الإنساني وتتجسد فيها كل معاني الخير فضلاً عن التضحية والإيثار وربما هذه الكلمات تلقي ضوءاً على الحقائق التي ذكرها إمامنا عليه السلام في رسالته الكريمة ، وهو عليه السلام بأمره لنا بإسداء الشكر لها إنما هو تأكيد لقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾[٦٥]

ب-أما حق الأب ((فتعلم أنه أصلك ، وأنك فرعه ، وأنك لولاه لم تكن ، فمنهما رأيت في نفسك ما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه وأحمد الله واشكره على قدر ذلك...))[٦٦]

فالإمام هنا يؤكد أن على الولد تجاه أبيه مراعاة ثلاثة حقوق:

١-حقه عليك لأنه الأصل وأنت الفرع ولولا الفرع لم يكن الأصل لأنه السبب في وجوده ونموه .

٢-دعوة إلى عدم التكبر على الأب لانه هو من شقي وتعب وتحمل المصاعب كي تنشأ وتصبح شخصاً يشار لك بالبنان بقادم الأيام.

٣-شكر الباري عز وجل على هذه النعمة والإحسان للأب بقدر الإحسان للأم لأنهما ركنا الأسرة التي خرجت منها.

ت-حق الولد، فأكد الإمام عليه السلام حقه بقوله: ((وأما حق ولدك فتعلم أنه منك ، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره ، وإنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب، والدلالة على أبيه والمعونة على طاعته فيك ، وفي نفسه فمثاب على ذلك ، ومعاقب، فاعمل في أمره عمل المتزين بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا المعذور إلى ربه في ما بينه وبينه بحسن القيام عليه ...))[٦٧]

أشار الإمام عليه السلام هنا أن الولد هو امتداد لحياة أبيه ، واستمرار لوجوده ، فعلى الأب القيام بوجباته تجاه أولاده من توفير الحياة الكريمة لهم من مأكل ومطعم وملبس وتربيتهم تربية حسنة وغرس الأخلاق الحميدة في نفوسهم ، والإيمان بالله والتقوى ، فالولد أن كان صالحاً نُسب لأبيه ، وأن شقياً نسب إليه أيضاً فهو كالزرع كلما اعتنى به خرج نظراً طيباً

ث-حق الأخ وفيما يخصه أورد الإمام : ((وأما حق أخيك فتعلم أنه يدك التي تبسطها وظهرك الذي تلتجأ إليه وعزك الذي تعتمد عليه ، وقوتك التي تصول بها ، فلا تتخذه

سلاحاً على معصية ... ولا تدع نصرته على نفسه ومعونته على عدوه ، والحول بينه وبين شياطينه وتأدية النصيحة إليه ، والإقبال عليه في الله ...))[٦٨] . والإمام هنا يعطينا درساً في مراعاة الأخ من عدة أوجه منها:

١-في اتخاذه سنداً وقوة وعزاً.

٢-في عدم جعله سلاحاً لارتكاب المعاصي والتقوي به على ظلم الناس والاعتداء عليهم.

٣-إرشاده إلى سبل الخير والهداية .

٤-إعانته وتحذيره من وساوس الشيطان واصدقاء السوء.

٥-الوقوف بجانبه ونصرته على عدوه ، وإسداء النصيحة له في السراء والضراء طلباً لوجه الله تعالى

المبحث الرابع: حقوق الآخرين:

أولاً: حقوق من تجمعك بينهم علائق دنيوية على نحو تلازمي، وهي كالآتي:

أ-حقوق الأئمة وحقوق الرعية:

أما بالنسبة لحقوق الأئمة فهي ثلاثة (**حق سائسك بالسلطان ، وحق سائسك بالعلم، وحق سائسك بالملك**).

أما حق الأول(الحاكم) بحسب الإمام عليه السلام ((أن تعلم أنك جعلت له فتنة ، وأنه ابتلي فيك ، بما جعله الله عليك من السلطان ، وأن تخلص له النصيحة وأن لا تماحكه – تخاصمه – وقد بسطت يده عليك فتكون سبب هلاك نفسك وهلاكه وتذلل وتلطف لإعطائه الرضى ما يكف عنك ولا يضر بدينك وتستعين عليه في ذلك بالله ، ولا تعازه – تعارضه – ولا تعانده ، فإنك أنه فعلت ذلك تحققت نفسك وتحققته، فعرضتها لمكروهه...))[٦٩] والإمام هنا قصد بالإمام (الحاكم) الذي لا يستمد سلطانه عن طريق الولاية الإلهية ، وإنما سلطته حاصلة بالقوة والقهر لذا أوضح الإمام السجاد عليه السلام أن للحاكم على الرعية جملة واجبات من إخلاص النصيحة له ، والولاء ، وعدم الجارة إلى العداء والبغضاء خشية فتك الحاكم به [٧٠] .

أما الحق الثاني ، فهو حق المعلم وعنه قال الإمام عليه السلام ((وأما حق من ساسك بالعلم، فالتعظيم له ، والتوقير لمجلسه ، وحسن الاستماع إليه ، والإقبال عليه ، والمعونة له على نفسك ... في أن تفرغ له عقلك ، وتحضره فهمك ، وتذكي له قلبك ، وتجلي له بصرك، بترك اللذات ... والشهوات))[٧١] .

لا شك أن المعلم هو أكرم رجال الأرض الذين ساهموا في نشر العمل وفك عقال الجهل، فضلاً عن كونه صانع الحضارة لذا أوجب عدة أمور على المتعلمين من تعظيمه وتقديره ، وتوقير مجلسه ، والإقبال عليه برغبة واهتمام تام ، واستحضار الفكر و القلب والبصر وهذا لا يحصل إلا بترك الملذات والشهوات لا سيما عند تحصيل العلوم الدينية[٧٢].

أما الحق الثالث فهو حق المالك وقد وصفه الإمام السجاد عليه السلام بقوله : ((وأما حق سائسك بالملك فنحو من سائسك بالسلطان إلا أن هذا يملك ما لا يملكه ذاك ، تلزمك طاعته في دق ما جل منك ، إلا أن تخرجك – طاعته – من وجوب حق الله...))[٧٣].

لقد عمل الإمام السجاد عليه السلام على إنقاذ الإنسان من العبودية ، وعامل الأرقاء كما يعامل ابناءه بمنتهى اللطف والرحمة [٧٤] لذا ومن هذا المنطلق فإنه كما أمر العبد بطاعة سيده فإنه اشترط أن لا يخرجه ذلك عن طاعة الله.

وفيما يخص **حقوق الرعية على السلطان** : فهي أربعة حقوق : ((**حقهم عليك بالسلطان، وبالعلم ، وملك النكاح ، وملك اليمين**)) ويمكن إيجاز مضامينها المترتبة على الحاكم بحسب ما أورده الإمام عليه السلام من الحقوق كما يلي :

١-بالنسبة للحق الأول، فأوجب الإمام عليه السلام معاملة الرعية بالرحمة والحياطة – الحماية – والأناة – الحلم – طالما كفاك الله مؤنتهم بان جعلهم ضعفاء أذلة لا يمتنعون منك إلا بالله ، لذا أوجب الإمام على السلطان إسداء للشكر لله تعالى على ما أنعم عليه [٧٥] .

٢-أما الحق الثاني فطالما آتاك الله مقاليد العلم وخزائنه فعليك أن تحسن التصرف اتجاه العلماء والمتعلمين وتكون لهم بمثابة الناصح ، الراغب في نشر العلم ، الباذل في سبيل

ذلك، وخير عون وليس العكس[٧٦].

أما الحق الثالث فحق (رعيتك بملك النكاح) وطالما يتعلق الأمر بالمرأة والزواج بها ، فقد أوجب الإمام عليه السلام لها حقوقاً مفادها:

١-أنها سكن، ومستراح، وأنس، وحماية لك من الموبقات وارتكاب الفواحش.

٢-أنها نعمة انعم بها الله عليك، عليك إكرامها، والرفق بها، مع أن حق الرجل على المرأة أعظم.

٣-لها أيضاً الحق عليك في مؤانستها، وتوفير الطمأنينة لها، والدخول بها بما يرضي الله كما أكدت الشريعة [٧٧].

أما الحق الرابع للرعية فهو حق رعيتك بملك اليمين ، وقول الإمام بشأنه أعظم من أن يوجز ونصه ((...إن تعلم أنه خلق ربك ولحمك ودمك وأنك تملكه لا أنت صنعته دون الله ولا خلقت له سمعاً ولا بصراً، ولا أجريت له رزقاً ، ولكن الله كفاك ذلك بمن سخره لك وائتمنك عليه واستودعك إياه لتحفظه فيه وتسير فيه بسيرته ، فتطعمه مما تأكل وتلبسه مما تلبس ولا تكلفه ما لا يطيق ، فإن كرهته خرجت إلى الله به واستبدلت به ولم تعذب خلق الله ...))[٧٨]. والإمام عليه السلام قصد مراعاة التصرف مع الجواري من الأماء ، فعلى السلطان معاملتهن بإحسان وإنصاف فيطعمهن مما يأكل ويكسوهن مما يلبس ، وأن كره معاشرتهن فله تركهن دون إلحاق الأذى بهن فهن خلق الله لا لعبة ابتدعها متى ما شاء تخلص منها.

ب-حق المولى وحق المنعم عليه بالولاء:

أما الاول فعن حقه قال الإمام السجاد عليه السلام : ((وأما حق مولاك ، الجارية عليه نعمتك فأن تعلم أن الله جعلك حامية عليه ، وواقية وناصراً ، ومعقلاً، وجعله لك وسيلة ... فالحري أن يحجبك عن النار فيكون لك في ذلك ثواب منه في الآجل ، ويحكم لك بميراثه في العاجل إذا لم يكن له رحم مكافأة لما أنفقته من مالك عليه وقمت به من حقه بعد إنفاق مالك ...))[٧٩].

فالإمام هنا دعا إلى مراعاة حقوق الأسياد لأرقائهم لان الله قد جعلهم عليهم وكلاء، فاللازم مراعاة حقوقهم ، ومعاملتهم معاملة كريمة ، والإحسان إليهم ، وثواب ذلك عند الله تعالى.

أما حق المنعم عليك بالولاء : ((فتعلم أنه أنفق فيك ماله ، وأخرجك من ذل حق الرق ووحشته إلى عز الحرية وأنسها ، واطلقك من أسر الملكية ، وفك عنك رق العبودية ... وأخرجك من سجن القهر، ودفع عنك العسر ، وأباحك الدنيا فملكك نفسك ، وحل أسرك ، وفرغك لعبادة ربك ... فتعلم أنه أولى الخلق بك بعد أولي رحمك في حياتك وموتك ...))[٨٠].

فالإمام هنا عنى أن الإنسان الذي عادت إليه حريته عليه أن يشعر بهذه النعمة الكبيرة التي حصلت على يد هذا المنعم وأن عليك أيها الإنسان المتحرر أن لا تؤثر نفسك عليه لأنه هو من أطلقك من سجن العبودية وملكك نفسك، فهو أولى ببره والإحسان إليه بعد أهلك .

ت-حق الكبير وحق الصغير: أما الكبير فقال في حقه الإمام عليه السلام ((توقير سنه ، وإجلال إسلامه إذا كان من أهل الفضل في الإسلام بتقديمه فيك ، وترك مقابلته عند الخصام ، ولا تسبقه إلى طريق، ولا تؤمه في طريق – أي لا تتقدمه – ولا تستجهله ، وأن جهلك عليك تحملته وأكرمته بحق إسلامه مع سنه...)) [٨١] ومظاهر التكريم الوارد في النص من ترك مقابلته عند الخصام ، وتوقيره ، وعدم سبقه أو التقدم عليه في الطريق، وتحمله وأن اعتدى وغيرها، توطد العلائق الاجتماعية بين الناس وتصفي قلوبهم وتطهر نفوسهم، ناهيك عن أنها آداب إنسانية يمدح فاعلها في الدنيا والآخرة [٨٢] .

وفيما يخص حق الصغير : ((فرحمته ، وتثقيفه ، وتعليمه ، والعفو عنه ، والستر عليه، والرفق به ، والمعونة له ، والستر على جرائر حداثته، فإنها سبب للتوبة والمداراة وترك مماحكته فإن ذلك أدنى لرشده...))[٨٣].

إن هذه الركائز التربوية الإسلامية التي نص عليها الإمام عليه السلام من رحمة الصغير، والعطف عليه وعدم استعمال الشدة والقسوة معه ، وتعليمه وتثقيفه والرفق به والستر على

أفعاله السيئة ومداراته توجب بمجملها إصلاح النشيء وتهذيبهم وإصلاح المجتمع ورقيه على الوجه الأكمل والأفضل.

و- **حق السائل وحق المسؤول** وعنهما قال الإمام عليه السلام : ((وأما حق السائل فإعطاؤه إذا تهيأت صدقه ، وقدرت على سد حاجته ، والدعاء له في ما نزل به ، والمعاونة على طلبته وأن شككت في صدقه وسبقت إليه التهمة ، ولم تعزم على ذلك لم تأمن من أن يكون من كيد الشيطان أراد أن يصدك عن حظك، ويحول بينك وبين التقرب إلى ربك، تركته بستره ورددته رداً جميلاً...))[٨٤] والإمام زين العابدين عليه السلام هنا يعلم المسؤول كيف يجب أن يتعامل مع السائل ، ويعلمه كيف يواجه الموقف بنفس راضية ، فحق السائل إعطائه إذا توفرت صدقة ، أما إذا شك في صدقية السائل فعليه أن لا يعامله بجفاء بل بالروية والكلمة الطيبة[٨٥].

وأما حق المسؤول : ((فحقه أن أعطي قبل منه ما أعطى بالشكر له والمعرفة لفضله وطلب وجه العذر منه وأحسن به الظن وأعلم أنه أن منع فماله منع ، وأنه ليس التثريب في ماله ... وأن كان ظالماً...))[٨٦].

فالإمام يوضح أن من أولويات حقوق السائل أن يقابل المسؤول بالشكر والدعاء له بالخير إذا ما أكرمه وأعطاه ، وإذا منعه فليحسن الظن به ، أما المقتدر ولم تطاوعه نفسه على دفع الصدقة ، فإنما حرم نفسه ما عند الله من عظيم الثواب ولم يحرم السائل.

ثانياً: حق من تجمعك بهم منافع مادية:

وقبل الحديث عن أركان هذه الحقوق تجدر الإشارة إلى المحور الذي تدور في فلكه هذه العلاقة ألا وهو (**حق المال**) والذي أشار إليه الإمام السجاد عليه السلام بقوله : ((وأما حق المال فأن لا تأخذه إلا من حل ، ولا تنفقه إلا في حل ، ولا تحرفه عن مواضعه ، ولا تصرفه عن حقائقه ، ولا تجعله إذا كان من الله إلا إليه ، وسبباً إلى الله ؛ ولا تؤثر به على نفسك من لعله لا يحمدك ، وبالحري أن لا يحسن خلافته في تركتك ولا يعمل فيه بطاعة ربك ... فيذهب الغنيمة وتبوء بالأثم والحسرة والندامة مع التبعة ...))[٨٧].

والإسلام هنا يريد أن يكون المال الذي يجنيه الإنسان من الطرق الشرعية المحللة ، وأن ينفق فيما يحل له فضلاً عن المشاريع الخيرية كإنشاء المستشفيات ، المكتبات ، المساجد ، أما إذا ادخره لورثته فانفقوه في معصية الله فإثمه عليه لإعانته إياهم على فعل المعاصي.

بعد هذا التقديم عن حق المال يجب الوقوف عند حقوق من تجمعك معهم علائق مادية

أ-حق الشريك : وحقه بحسب الإمام عليه السلام ((إن غاب كفيته ، وأن حضر ساويته ، ولا تعزم على حكمك دون حكمه ، ولا تعمل رأيك دون مناظرته ، وتحفظ عليه ماله ، وتنفي عنه خيانته ، فيما عز وهان فأنه بلغنا أن يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا...))[٨٨].

لقد حدد الإمام زين العابدين عليه السلام صفات الشريك وواجباته ففضلاً عن الأمانة والعزة والنزاهة والورع عليه الالتزام بعدة أمور:

١-إذا غاب عليه أن يكفيه عمله وينوب عنه في أداء حقه وأن يساويه بنفسه.

٢-لا يمضي رأياً دون مشورته وعلمه.

٣-على الشريك أن ينفي تهمة الخيانة عن شريكه فلا يتهمه بعد أن كان مصدر ثقة ولا يتصرف إلا وفق موازين الشرع والحق [٨٩]

ب-حق الغريم (الطالب لك) فحقه ((أن كنت موسراً أوفيته وكفيته ولم ترده ، وتمطله – تسوفه – ، ... وأن كنت معسراً، أرضيته بحسن القول ، وطلبت منه طلباً جميلاً، ورددته عن نفسك رداً لطيفاً ، ولم تجمع عليه ذهاب ماله ، وسوء معاملته ، فإن ذلك لؤم ولا قوة إلا بالله))[٩٠].

لقد جاء الإسلام لينظم كل ما يحتاجه الإنسان في حياته الدنيا تنظيماً شاملاً لا سيما جميع المعاملات والهدف من ذلك تمتين روابط الشراكة لما تؤديه من تقوية وتوثيق الروابط الاجتماعية ، وقد أشار الإمام عليه السلام هنا أن على المستدين أن يتلطف إلى أرباب الأموال الذين استدان منهم ويقابلهم بالكلمة الطيبة ، ويردهم بالرد الجميل ، لا بالمماطلة والتسويف فيظلم صاحبه مرتين مرة بأخذه ماله دون إرجاعه وأخرى بسوء معاملته رغم أنه يطالب بحقه ، وعد الإمام هذا التصرف لؤماً .

ت-حق الخليط: وأكد الإمام عليه السلام حقه في ((أن لا تغره ولا تغشه ولا تكذبه ولا تغفله ولا تخدعه ولا تعمل في انتقاصه عمل العدو الذي لا يبقي على صاحبه، وأن اطمأن إليك استقصيت على نفسك وعلمت أن غبن المسترسل رباً...))[٩١].

أن الخليط كالشريك ومن شروط المخالطة في الإسلام أن يكون الخليط قوي الإيمان، صادق اللهجة، محب للخير، ملتزماً بأوامر الله، والإمام يحذر هنا من اتخاذ المغفل والمخادع خليطاً ويطلب إلينا ألا نعيبه ولا ننقصه لأن ذلك ليس من فعل الخلطاء بل الأعداء، وأن تفضيل الخليط على شريكه يعد نمطاً من أنماط الربا[٩٢].

سادساً: حق القضاء ويشمل ثلاثة حقوق هي:

أ-حق الخصم: وعنه يقول الإمام عليه السلام: ((وأما حق الخصم المدعي عليك فإن كان ما يدّعيه حقاً لم تنفع في حجته ولم تعمل في إبطال دعوته وكنت خصم نفسك له والحاكم عليها والشاهد له بحقه دون شهادة الشهود فإن ذلك حق الله عليك وإن كان ما يدّعيه باطلاً رفقت به، وردعته، وناشدته بدينه، وكسرت حدّته عنك بذكر الله وألقيت حشو الكلام ولغطه الذي لا يرد عنك عادية عدوك بل تبوء بإثمه وبه يشحذ عليك بسيف عداوته لأن لفظ السوء تبعث الشر والخير، مقمعة للشر...))[٩٣]. والإمام زين العابدين عليه السلام في رسالته هذه يريد أن يدخل إلى أعماق النفس ليحررها من الشذوذ ويعود بها إلى طاعة الله ورسوله، فيذكر الإنسان الذي أقيمت عليه الدعوة إن كانت صادقة من صاحبها فعليه أن لا يبطلها ويبطل الحق الذي تعلق بها فيرده إلى أهله، دون أن ينظر إلى الشهود ريثما يدلوا بشهاداتهم عليه، لأن ذلك هو حق الله ولا يجوز للمسلم أن ينقض حقاً من حقوق الله، أما من يأخذ أموال الناس بالباطل مستغلاً فصاحة لسانه فإنه سيحاسب على فعله الشنيع ويعاقب على تصرفه لأن كل حق يأخذه من الناس إنما هو قطعة من النار تحرقه يوم القيامة[٩٤].

ب-أما حق الخصم المدعى عليه ((فإن كان ما تدعيه حقاً أجملت في مقاولته بمخرج الدعوى، فأن للدعوى غلظة في سمع المدعى عليه، وقصدت قصد حجتك بالرفق،

وأمهل المهلة ، وأبين البيان ، وألطف اللطف ، ولم تتشاغل عن حجتك بمنازعته بالقيل والقال فتذهب عنك حجتك ولا يكون لك في ذلك درك...))[٩٥]

لقد شدد الإسلام على منع الترافع إلى الظلمة الذين انحرفوا عن العدل والحق وسلكوا طرقاً فاسدة تبرأ منها الدين ، والإمام زين العابدين عليه السلام يعطينا درساً مفيداً في رسالته في كيفية الترافع وكيف نقدم حجتنا ، فإن كان المدعي على حق في دعواه ، عليه أن يتجنب الكلمات النابية مع خصمه ، بل يقابله بالبيان الواضح ، والحجة الظاهرة ، والكلمة الطيبة ، كما أن عليه أن يتجنب القيل والقال لأنهما لا يجديان نفعاً ولا يرجعان حقاً بل ربما يذهبان بالحق فيضيع الهدف الرئيسي للدعوة ويفقد مساره[٩٦].

ت-حق من أساء القضاء: وعنه قال الامام عليه السلام ما نصه : ((وأما من سائك القضاء على يديه بفعل أو قول فإن كان تعمدها ، كان العفو أولى بك ، لما فيه من القمع وحسن الأدب مع كثير أمثاله من الخلق ، فإن الله يقول: ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾[٩٧] وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾[٩٨] وهنا يتعرض الإمام عليه السلام إلى القضاة فيبين انهم إذا جاروا على أحد بقول أو فعل ، وكان ذلك عن عمد ، فالأولى النصح والعفو عنهم عملاً بالآداب الإسلامية العالية التي حثت على العفو عن المسيء ، أما إذا صدرت الإساءة منهم عن خطأ فلا ينبغي موآخذتهم لانهم لم يقصدوا الجور والظلم[٩٩] .

ثالثاً: حق من تنتفع به وينتفع بك:

أ-حق المستشير وحق المشير: أما حق المستشير فقال الإمام عليه السلام بشأنه : ((أن حضرك له وجه رأي جهدت له في النصيحة وأشرت عليه بما تعلم أنك لو كنت مكانه لعملت به وذلك ليكن منك في رحمة ولين فإن اللين يؤنس الوحشة ... وأن لم يحضرك له رأي ، وعرفت له من يثق برأيه ، وترضى به لنفسك دللته عليه وأرشدته إليه فكنت لم تأله – تقصر – خيراً ولم تدخره نصحاً...))[١٠٠]

لقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله قوله ((ما خاب من استخار)) وعن الإمام علي عليه السلام قوله : ((ما خاب من استشار)) وقوله: ((من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها))[١٠١] فالاستشارة يجب أن تكون من رجل قد اجتمعت فيه شروط (العقل، والخبرة ، والإلتزام الديني وغيرها) وتأسيساً على ما سبق فالإمام السجاد عليه السلام يطلب من المستشير على المشير أن يؤدي له النصيحة بلينٍ ولطف لأن الشدة تنّفر الآخر وأن هو لم يكن لديه ما يمليه عليه من رأي فأحرى به أن يدله على من يثق به ليتم معروفه له.

أما حق المشير عليك ((فلا تتهمه فيما لا يوافقك عليه من رأيه إذا أشار عليك فإنما هي الآراء وتصرف الناس فيها واختلافهم فكن عليه في رأيه بالخيار إذا اتهمت رأيه ... ولا تدع شكره على ما بدا لك من أشخاص رأيه وحسن مشورته، فإذا وافقك حمدت الله...))[١٠٢] فالإمام هنا يطلب من المشير عدم اتهام المستشير في رأيه ، وهو غير ملزم للأخذ بهذا الرأي وأن تطابق الرأيان فعليه أن يحمد الله ويشكر المستشير.

ب-حق المستنصح وحق الناصح:

أما حق الاول بحسب الإمام عليه السلام: ((أن تؤدي إليه النصيحة على الحق الذي ترى له أنه يحمل، ويخرج المخرج الذي يلين له مسامعه ، وتكلفه .... بما يطيقه عقله ، فإن لكل عقل طبقه من الكلام يعرفه ويجتنبه ، وليكن مذهبك الرحمة...))[١٠٣]. وفي النص يريد الإمام عليه السلام أن يعطي درساً للمستنصح كيف يكون اسلوبه الذي يصوغ به النصيحة، فطلب أن نقابل المستنصح بمر الحق والصراحة القاسية ولا نسايره بما يتفق مع حاجاته ورغباته مع الاخذ بنظر الاعتبار أن لكل شخص أسلوبه الواجب التعامل على أساسه معه بحسب ثقافته[١٠٤].

أما حق الناصح : ((فأن تلين له جناحك ، ثم تشرئب له قلبك ، وتفتح له سمعك، حتى تفهم عنه نصيحته ، ثم تنظر فيها ، فإن وفق فيها للصواب حمدت الله على ذلك وقبلت منه ... وأن لم يكن وفق لها فيها ، رحمته ، ولم تتهمه ، وعلمت أنه لم يألك نصحاً إلا

أنه أخطأ ، إلا أن يكون عندك مستحقاً للتهمة ، فلا تعبأ بشيء من أمره))[١٠٥] .

لا شك أن الناصح هو إنسان حكيم صقلت فكره التجارب واكسبته الأيام خبرة واسعة ، والإمام عليه السلام يطلب من الناصح على المستنصح أن يكون معه لين الجانب متواضعاً ، ويسمع منه بقلب منفتح وأن يسمعه بموضوعية تامة فإن أفاده رأيه حمد الله وأن لم يوفق لذلك ليس عليه أن يتهمه بشيء فكل إنسان يخطئ ويصيب ، أما إذا تحريت عدم دقته وأنه لم يتقصَ جميع حيثيات الموضوع وأنه لا يريد لك الخير ، فعليك أن تهمله وحسابه على الله .

رابعاً: حق من تجمعك معهم منافع أخروية وتتضمن:

أ-حق المؤذن ، وحقه بحسب ما جاء عن الإمام عليه السلام : ((أن تعلم أنه مذكرك بربك وداعيك إلى حظك ، وأفضل أعوانك على قضاء الفريضة التي أفترضها الله عليك، فتشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك وأن كنت في بيتك متهماً لذلك، لم تكن لله متهماً في أمره، وعلمت أنه نعمة من الله عليك ، لا شك فيها فأحسن صحبة نعمة الله ...))[١٠٦].

الصلاة ترفع بالمصلي إلى أرقى درجات الكمال والفضيلة وهي التي تنهاه عن الفحشاء والمنكر والرافع لذكر النشيد السماوي ((الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي على خير العمل)) هو المؤذن المذكر بالله تعالى ، وهو المحرك للإنسان نحو الصلاة ، فالحق له أن يشكر ويحسن إليه[١٠٧].

ب-حق إمامك في صلاتك : وحقه كما نص الإمام ((فأن تعلم أنه تقلد السفارة فيما بينك وبين الله ، والوفادة إلى ربك ، وتكلم عنك ولم تتكلم عنه، ودعا لك ولم تدعُ له ، وطلب فيك ، ولم تطلب فيه ، وكفاك هم المقام بين يدي الله ، والمسألة له فيك ، ولم تكلفه ذلك، فإن كان في شيء من ذلك تقصير كان به دونك ، وأن كان آثاماً لم تكن شريكه فيه ، ولم يكن لك عليه فضل ، فوقى نفسك بنفسه ، ووقى صلاتك بصلاته ، فتشكر له على ذلك))[١٠٨]

لا شك أن صلاة الجماعة فيها أجر كبير وسر دقيق وبالخصوص إذا كانت خلف إمام اكتملت فيه شروط الإمامة ، وهذه الصلاة تحمل مضامين عدة أولها المساواة بين المسلمين ولإمام الجماعة

فضل كبير على المؤمنين به ، وذلك لما يترتب من الثواب الجزيل على الجماعة فضلاً عما تضمنه النص من أفضال على المصلين ، لذا أوجب الإمام عليه السلام على المؤتم الشكر والثناء لإمام الصلاة.

ج – **حق من سرك الله به وعلى يديه** : فأوضح الإمام زين العابدين حقوقه بقوله : ((فإن كان تعمدها لك حمدت الله أولاً ثم شكرته على ذلك بقدره في موضع الجزاء ، وكافأته على فضل الابتداء ، وأرصدت له المكافأة ، وأن لم يكن تعمدها حمت الله وشكرته ، وعلمت أنه منه توحدك بها –أي اختصك بها...))[١٠٩].

والإمام عليه السلام هنا يرتفع بنفسية المسلم عن الإساءة لأخيه المسلم ليدخل في عداد العاملين على مسرته وممن يبادر في إدخال السرور على قلوب الناس بل هو من خيار الناس، والواجب على المسرور تقبل ذلك بالشكر وذكر فضل الإحسان ، وإن كان الله قد اختص المسلم بهذه المسرة على يد أحد عباده دون تعمد من الأخير ، فعلى المسلم شكر الله وبالشكر تدوم النعم[١١٠] .

د- **حق صاحب المعروف عليك** : فبحسب الإمام عليه السلام ((إن تشكره وتذكر معروفه وتنشر له المقالة الحسنة وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله سبحانه ، فإنك إذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سراً وعلانية ، ثم أن أمكن مكافأته بالفعل كافأته...))[١١١].

لا شك أن فاعل الخير والمعروف رجل صالح طابت نفسه وسخت كفه حتى أصبح فعل الخير سجية من سجاياه يبادر إلى فعله عندما يعلم به دون سؤال ولا التماس ، والإمام هنا يوجب علينا تقديم الشكر للمحسن بل ونشر معروفه بين أفراد المجتمع حتى يتسابق أهل الخير إلى فعله فيما بينهم فضلاً عن مبادرة المحسن إليه بالدعاء لمن أحسن إليه اعترافاً بالجميل فضلاً عن ترقب الفرصة لرد الإحسان والمعروف أن تمكن [١١٢].

خامساً: حقوق من يجمعك معهم مكان :

أ-**حق الصاحب**، وحقه بنصه عليه السلام : ((أن تصحبه بالفضل ما وجدت إليه سبيلاً وإلا فلا أقل من الإنصاف ، وأن تكرمه كما يكرمك، وتحفظه كما يحفظك ، ولا يسبقك فيما بينك وبينه إلى مكرمة ، فإن سبقك كافأته ، ولا تقصر به عما يستحق من المودة ، تلزم نفسك

نصيحة وحياطته ، ومعاضدته على طاعة ربه ومعونته على نفسه فيما لا يهم به من معصية ثم تكون عليه رحمة ولا تكونه عليه عذاباً...))[١١٣].

في الواقع ليست الصحبة في الإسلام تعارفاً عابراً جانبياً بل لها حقوقها الي يجب مراعاتها على كل صاحب تجاه صاحبه ، فالصاحب يكتسب من صاحبه عاداته وأخلاقه، وتقاليده وأفكاره ، لذا على الإنسان أن يتمهل في اتخاذ الصديق ، وعليه أن يلتزم بما حدده الإمام السجاد عليه السلام من حقوق كي يبني الصداقة الجادة الحقة المبنية على المعروف لا الغايات[١١٤].

ب-حق الجليس . وحقه بحسب نص الإمام عليه السلام : ((...أن تلين له كنفك وتطيب له جناحك وتنصفه في مجاراة اللفظ ولا تغرقه في نزع اللحظ إذا لحظت ، وتقصد في اللفظ إلى إفهامه إذا نطقت ، وأن كنت الجليس إليه كنت في القيام عنه بالخيار، وإن كان المجالس إليك كان بالخيار ولا تقوم إلا بأذنه ...))[١١٥]. والإمام هنا ينبهنا إلى عدة آداب يمكن إيجازها بما يلي:

١-أن يلين الجليس جانبه لجليسه ولا يتلفظ بكلام فيه غلظة وشدة.

٢-أن يظهر تقديره وتكريمه.

٣-أن ينصفه إذا خاض الحديث معه ولا يظهر أنه أعلى شأناً منه.

٤-أن يقتصد بإفهامه عندما يوجه الكلام.

٥-إذا جاء قبله فعليه الاستئذان منه إذا أراد القيام أما إذا جاء بعده فله الخيار في المقام.

ج- **حق الجار** ، وحقه كما ورد عنه عليه السلام : ((...حفظه غائباً ، وكرامته شاهداً ، ونصرته ومعونته في الحالين جميعاً، ولا تتبع له عورة ولا تبحث له عن سوءة لتعرفها ، فإن عرفتها منه عن غير إرادة منك ولا تكلف كنت لما علمت حصناً حصيناً وستراً ستيراً، لو بحثت الألسنة عنه لم تتصل إليه لانطوائه عليك ، لا تستمع إليه من حيث لا يعلم ، لا تسلمه عند شديدة – أي لا تنال منه عند المصيبة – ولا تحسده عند نعمة، وتقبل عثرته ، وتغفر زلته ، ولا تدخر – تبخل – حلمك عنه إذا جهل عليك ، ولا تخرج أن تكون سلماً له ، ترد عنه الشتيمة ، وتبطل فيه كيد حامل النصيحة ، وتعاشره معاشرة كريمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله))[١١٦].

لقد اهتم الإسلام بالجار اهتماماً بالغاً وجعل له حقوقاً كثيرة تنطلق من حب التعاون بين الإنسان وأخيه الإنسان ، وقد أوصى الله تعالى به في قوله ﴿ وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾[١١٧] أما بخصوص حقوقه في رسالة الإمام عليه السلام فهي جاءت لتلقي الأضواء عليها وهي خمسة عشر حقاً كلها بحسب النص الشريف مهمة ولا يمكن إغفال أهمية أحدها على الآخر، لذا دعانا الإمام عليه السلام بضرورة التمسك بها لأنها من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وشريعته السمحاء ، وبحسب ما جاء في القرآن، ووصايا النبي صلى الله عليه وآله ،وآل البيت عليهم السلام، فنحن لا نظن أن هناك شريعة أعطت للجار من الحقوق ما أعطاه الإسلام العظيم.

د. حق أهل الملة: فنص عليه الإمام بقوله: ((وأما حق ملتك عامة فإضمار السلامة، ونشر جناح الرحمة والرفق بمسيئهم وتآلفهم ، واستصلاحهم ، وشكر محسنهم إلى نفسه وإليك فإن إحسانه إلى نفسه إحسانه إليك ، إذ كف عنك أذاه، وكفاك مؤونته ، وحبس عنك نفسه ، فعمهم جميعاً بدعوتك ، وانصرهم جميعاً بنصرك ، وأنزلهم جميعاً منازلهم كبيرهم بمنزلة الوالد ، وصغيرهم بمنزلة الولد، وأوسطهم بمنزلة الأخ، فمن أتاك تعاهدته بلطف ورحمة ، وصل أخاك بما يجب للأخ على أخيه ...))[١١٨].

لقد كرم الله تعالى الإنسان بقوله : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[١١٩] فهذا التفضيل من الباري عز وجل يوجب على الإنسان المسلم مراعاة حقوق أخيه المسلم الآخر ، وقد أوجب الإمام زين العابدين عليه جملة حقوق هي:

١-إظهار السلامة وترجمتها بدرجة أعلى فضلاً عن المودة والإخاء.

٢-على المسلم أن ينشر للمسلمين جناح الرحمة فلا يتكبر عليهم ولا يأخذهم بالعنف بل يعفو عنهم .

٣-أن يرفق بمسيئهم ولا يقسو عليه من أجل إصلاحه وتقويمه.

٤-أن يعمد إلى تآلفهم ووحدة كلمتهم ورص صفوفهم.

٥-أن يشكر كل محسن منهم على إحسانه ويشجعه على هذه البادرة الكريمة التي تعود بالفائدة على المجتمع بأسره.

٦-أن يعمد على نصرتهم والدفاع عنهم عند الحاجة ، فضلاً عن احترام الجميع وإنزال كل واحد منهم على حسب قدره ومكانته، فالكبير بمنزلة الوالد والأوسط بمنزلة الأخ والصغير بمنزلة الولد [١٢٠].

هـ-**حق أهل الذمة** ، وحقهم بحسب ما جاء عنه عليه السلام ((أن تقبل منهم ما قبل الله ، وتفي بما جعل الله لهم من الله به على نفسك فيما جرى بينك وبينهم من معاملة ، وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمة الله ، والوفاء بعهده ، وعهد رسول الله صلى الله عليه وآله حائل فإنه بلغنا أنه قال: ((من ظلم معاهداً كنت خصمه)) فاتق الله ...))[١٢١].

لقد رعى الإسلام أهل الذمة من اليهود والنصارى من الذين دخلوا في ذمة الإسلام فعاملهم بالحسنى كما عامل سائر المسلمين فمارسوا حرياتهم الفكرية والدينية وعاشوا بأمن ورخاء واستقرار ضمن شروط معينة ودخلوا في عهد مع الإسلام وبموجب هذا العهد أصبحوا أهل ذمة تجري عليهم أحكام معينة ، ورغم أن الإمام عليه السلام قد أكد هذه الحقوق التي أعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله ربما لما أصاب العديد منهم من ظل جور ، إبان تسلط الحكام الأمويين [١٢٢] فإن هناك التزامات أوجب العهد التزامهم بها وهي:

١-دفع الجزية للحاكم.

٢-عدم الأتيان بعمل ينافي الأمان للدولة الإسلامية مثل إمداد المشركين أو العزم على حرب المسلمين.

٣-عدم إيذاء المسلمين بسرقة اموالهم والتعرض لنساءهم وإيواء المشركين والتجسس لهم.

٤-عدم التظاهر بالمنكرات علناً في بلاد المسلمين كالزنى وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير لأن المجتمع العربي يرفض المنكرات ويحرمها[١٢٣].

الخاتمة

أن الإمام السجاد عليه السلام كان رائد الإصلاح بالفعل – بعد أبيه الحسين الشهيد – إذ لم يدخر جهداً من أجل إعادة بناء المجتمع الإسلامي الذي شهد متغيرات ومفاسد كثيرة إبان الحكم الأموي فسعى جاهداً بالقول والعمل إلى تحقيق إصلاح شامل في المجتمع الإسلامي وعلى مختلف الأصعدة فنراه تارة يواجه الفكر المنحرف من المجسمة ومن المرجئة والجبرية والمشبهة وتارة يوجه علماء عصره – وحتى من وعاظ السلاطين – إلى جادة الصواب وطريق الحق ناهيك عن توجيه أتباعه والنشيء المسلم إلى التحلي بالأخلاق والمبادئ السياسية التي سنها جده الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وآبائه الطاهرين عليهم السلام فضلاً عما إرساه من مبادئ المساواة والرقي بالإنسان المسلم من خلال إنعاش مبدأ التكافل الاجتماعي والقضاء – ما استطاع سبيلاً – على ظاهرة الفقر والرق والعصبية القبلية .

١ –إن الإمام سعى لإيجاد وثيقة أسماها رسالة الحقوق تعد أضخم تراث فكري إنساني سبقت وثيقة حقوق الإنسان العالمية بأربعة عشر قرناً أراد من خلالها الرقي بالإنسان نحو الكمال والخير والفضيلة وهي فوق ذلك عُدَّت دستوراً أمثل لحقوق الإنسان، وهي كما وصفت مشدودة إلى العروة الوثقى لا انفصام لها بما تضمنت من مفاهيم ، وبعد كل ذلك فهي تميزت بأنها:

أ–هي رائدة الفكر الإنساني وسجل المعرفة وفوق ذلك كله هي الوسيلة لفهم الإنسان نفسه وما فطرت عليه من مواهب ونزعات ، وهي كذلك مقومة للأخلاق ومقدرة للقيم ، والمشرف الأعلى على جميع منازع الناس وما احتوت عليه معارفهم وسلوكهم وسائر اتجاهاتهم العقلية والسياسية والاجتماعية .

ب–أنها رسالة تهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض ، أفراداً وأزواجاً ، حكومات وشعوباً ، دولاً واجناساً ، تقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى ، ولا تستميل مع المودة ولا تصرفها ، وتوجه الطاقات البشرية

الصالحة إلى العمل والبناء، وتربط بين نواميس الكون والفطرة البشرية في تناسق واتساق.

ت-هي منبع غزير للعلوم الإنسانية ومنهج أمثل للقيم الأخلاقية ، ومشرف أعلى على جميع التطورات الاجتماعية والحضارة البشرية فهي أم الرسالات تنسق تنسيقاً كاملاً بين عقائد المسلم وأعماله ومشاعره وسلوكه فتطلق روحه من عقاب الأوهام ، وتوجه نفسه نحو الاعمال الصالحة .

ث-وهي أشبه بالغيث تحيي النفوس بعد موتها وتبعث على طاعة الله والبعد عن معصيته وبمقدار ما يبلغ الإنسان من علوم الإمام زين العابدين عليه السلام يبلغ حداً بعيداً من العظمة مع الخالدين.

هـ-هي أم الرسالات وملهمة الحضارات تكون للحاكم أساس عدله في حكمه، وللعامل أساس صدقه في عمله ، وللمسلم طمأنينة وإيماناً ، وللمؤمن بهجة ورضا، وللأمة نوراً وحقاً وعدلاً ، وحسبها قيمة وفخراً أن غارس بذرتها الإمام زين العابدين بن الحسين عليه السلام

الهوامش

١. الجلالي، جهاد الإمام السجاد، ص٧٣

٢. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٢٨٣، ج٥، ص٢٢، ١-١، ٣١٢؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص٣٦٢؛ الأصفهاني، الأغاني، ج٧، ص٥، ٤٧، ٥٠؛ الحاج حسن، الإمام السجاد، ص٢٠٧-٢٠٨؛ وهيب، الحياة الاجتماعية، ص١٥٦؛ مال الله، أساليب الدولة الأموية، ص٤١-٤٥؛ ص٥٠٧.

٣. الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج٢، ص١١؛ القمودي، سيكلوجيا السلطة، ص٦٠

٤. الحاج حسن، الإمام السجاد، ص٢٠٨.

٥. الجلالي، جهاد الإمام السجاد، ص٧٣.

٦. ينظر: الحسن البصري وآخرون، رسائل العدل والتوحيد، ص٣١٤-٣١٥، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٥، ص٢٣٢؛ ج١٦، ص١٣؛ الكوراني، جواهر التأريخ، ج٢، ٢٢٧.

٧. الجلالي، جهاد الإمام السجاد، ص٨٦. ينظر أيضاً: الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، جـ١، ص١٥.

٨. ينظر: ابن طاووس، اللهوف، ص١٠٣.

٩. الصدوق، التوحيد، ص٣٦٦.

١٠. الأربلي، كشف الغمة، جـ ٢، ص٨٩؛ الجلالي، جهاد الإمام السجاد، ص٩٢.

١١. سورة التوبة، آية ١٠٦؛ ينظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص١٥١؛ الريس، النظريات السياسية، ص٧١.

١٢. سورة الزمر، آية ٥٣؛ ينظر: كذلك: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، جـ ٦، ص٢٥٤.

١٣. الجلالي، جهاد الإمام السجاد، ص٩٦.

١٤. الصدوق، الأمالي، ص١١٢؛ الطبرسي، الاحتجاج، ص٣١٧.

١٥. المجلسي، بحار الأنوار، جـ ٤٦، ص١٣٢؛ الحاج حسن، ألإمام السجاد، ص١٧٥-١٧٦.

١٦. المصدر والمرجع نفسها.

١٧. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، جـ ١٧، ص٥٥؛ الجلالي، جهاد الإمام السجاد، ص١٣٣.

١٨. المجلسي، بحار الانوار، ج٤٦، ص٧٣؛ الحاج حسن، ألإمام السجاد، ص١٧٩.

١٩. الصدوق، ثواب الأعمال، ص٨١.

٢٠. البحراني، البرهان في تفسير القرآن، جـ ١، ص٤٤.

٢١. الحاج حسن، الإمام السجاد، ص١٩١-١٩٢.

٢٢. القرشي، حياة الإمام زين العابدين، ص٨١.

٢٣. المجلسي، بحار الأنوار، جـ ٤٦، ص١٣٧؛ الحاج حسن، الإمام السجاد، ص١٩٣.

٢٤. الكليني، الكافي، جـ ٤، ص٩؛ ابن عساكر، تأريخ مدينة دمشق، جـ ٤، ص٣٨٣؛ ابن منظور،

مختصر تاريخ دمشق، جـ ١٧، ٢٣٨.
٢٥. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، جـ ١٧، ص٢٣٨.
٢٦. ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق، ج٤١، ص٣٨٥.
٢٧.ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق، جـ ١٧، ص٢٣٨.
٢٨. الدوري ، مقدمة في التاريخ، ص ٧٠ وما بعدها؛ مال الله ، أساليب الدولة الأموية، ص٦٤-٩٠، ص٤٨٧ وما بعدها.
٢٩. الحائري، بلاغة علي بن الحسين عليه السلام ، ص٢١٧.
٣٠.الجلالي، جهاد الإمام السجاد ، ص١٣٧.
٣١.ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٥، ص١١٠.
٣٢.ابن طاووس ، الإقبال، ص٤٤٧.
٣٣.المجلسي ، بحار الأنوار، جـ ٤٦، ١٠٤-١٠٥؛ الجلالي، جهاد الإمام السجاد، ص١٤٧.
٣٤.ينظر: زين العابدين ، ص٤٧
٣٥.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٨٣.
٣٦.الحاج حسن ، الإمام السجاد ، ص٢٠٩-٢١٠.
٣٧.ابن شعبة ، الحراني، تحف العقول، ص١٨٤.
٣٨.الحاج حسن ، الإمام السجاد ، ص٢٢١.
٣٩.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٨٤
٤٠. الحاج حسن ، الإمام السجاد، ص٢٢٢.
٤١. ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٨٥-١٨٥.
٤٢.الحاج حسن ، الإمام السجاد، ص٢٢٣
٤٣. ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٨٥
٤٤.الحاج حسن ، الإمام السجاد، ص٢٢٤-٢٢٥.
٤٥.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٨٣.
٤٦.الحاج حسن ، الإمام السجاد، ص٢١١.
٤٧.الكليني، الكافي، جـ ٥، ص٩.
٤٨.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٨٣.
٤٩.الحاج حسن ألإمام السجاد، ص٢١٢.
٥٠.سورة البقرة ، آية ٢٦٣.
٥١.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٨٣.

٥٢.الحاج حسن ، الإمام السجاد، ص٢١٣.
٥٣.سورة النساء، آية ، ١٤٠.
٥٤.الحاج حسن، الإمام السجاد، ص٢١٣.
٥٥.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٨٣.
٥٦.سورة الأسراء ، آية ٣٦.
٥٧.الحاج حسن ، الإمام السجاد، ص٢١٥.
٥٨.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٨٣.
٥٩.الحاج حسن ، الإمام السجاد ، ص٢١٥.
٦٠.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٨٤.
٦١.المصدر نفسه.
٦٢.الحاج حسن ، الإمام السجاد، ص٢١٧-٢١٨.
٦٣.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٨٤.
٦٤.المصدر نفسه ، ص١٨٧.
٦٥.سورة لقمان ، آية ١٤.
٦٦.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٨٧.
٦٧.المصدر نفسه.
٦٨.المصدر نفسه.
٦٩.المصدر نفسه ، ص١٨٥.
٧٠.الجلالي، جهاد الإمام السجاد، ص١٥٣.
٧١.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٨٦.
٧٢.الحاج حسن ، الإمام السجاد، ص٢٢٨.
٧٣.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٨٦.
٧٤.الجلالي ، جهاد الإمام السجاد ، ص١٤٥.
٧٥.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٨٦.
٧٦.المصدر نفسه.
٧٧.المصدر نفسه ، ص١٨٦-١٨٧.
٧٨.المصدر نفسه ، ص١٨٧.
٧٩.المصدر نفسه، ص١٨٨.
٨٠.المصدر نفسه.

٨١.المصدر نفسه، ص١٩٢.
٨٢.الحاج حسن ، الإمام السجاد، ص٢٦٠.
٨٣.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٩٢.
٨٤.المصدر نفسه.
٨٥.الحاج حسن ، الإمام السجاد، ص٢٦٢.
٨٦.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٩٢.
٨٧.المصدر نفسه، ص١٩٠.
٨٨.المصدر نفسه.
٨٩.الحاج حسن ، الإمام السجاد، ص٢٤٩-٢٥٠.
٩٠.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٩٠.
٩١. المصدر نفسه.
٩٢.الحاج حسن ، الإمام لسجاد ، ص٢٥٤.
٩٣.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٩٠.
٩٤.الحاج حسن ، الإمام السجاد، ص٢٥٦.
٩٥.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٩١.
٩٦.الحاج حسن ، الإمام السجاد، ص٢٥٦.
٩٧.سورة الشورى ، آية ٤١-٤٣؛ ينظر: ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٩٣.
٩٨.سورة النحل، آية ١٢٦.
٩٩.الحاج حسن ، الإمام السجاد، ص٢٦٥.
١٠٠.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٩١.
١٠١.الحاج حسن ، الإمام السجاد، ص٢٥٦-٢٥٧.
١٠٢.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٩١.
١٠٣.المصدر نفسه .
١٠٤.الحاج حسن ، الإمام السجاد ، ص٢٥٨.
١٠٥.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٩١-١٩٢.
١٠٦.المصدر نفسه، ص١٨٨-١٨٩.
١٠٧.الحاج حسن ، الإمام السجاد، ص٢٤٢-٢٤٣.
١٠٨.ابن شعبة الحراني، تحف العقول ، ص١٩٢.
١٠٩.الحاج حسن ، الإمام السجاد، ص٢٦٤.

١١٠.المصدر نفسه.
١١١.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٨٨.
١١٢.الحاج حسن ، الإمام السجاد ، ص٢٤١-٢٤٢.
١١٣.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٨٩-١٩٠.
١١٤.الحاج حسن ، الإمام السجاد، ص٢٤٨-٢٤٩.
١١٥.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٨٩.
١١٦.المصدر نفسه.
١١٧.الحاج حسن ، الإمام السجاد، ص٢٤٦-٢٤٧.
١١٨.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٩٣.
١١٩.سورة الإسراء، آية ٧٠.
١٢٠.الحاج حسن، الإمام السجاد ، ص٢٦٦.
١٢١.ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص١٩٣.
١٢٢.البلاذري، أنساب الأشراف، جـ ١٣، ص٤٢٦؛ مال الله ، أساليب الدولة الأموية ، ص٥٣٥.
١٢٣.الماوردي، الأحكام السلطانية ، ص١٨٦؛ الحاج حسن ، الإمام السجاد ، ص٢٦٧.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١.ابن أبي الحديد، عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي (٦٥٦هـ) ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الكتاب العربي، (بغداد – ٢٠٠٥م)

٢.الأربلي، أبي الفتح علي بن عيسى (ت: ٦٩٣هـ)، كشف الغمة في معرفة أحوال الأئمة ، مكتبة علي هاشمي، (تبريز – ١٣٨١هـ)

٣.الاصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ)، الأغاني، تحقيق: احسان عباس وابراهيم السعافين وبكر عباس، دار صادر، ط٣، (بيروت – ٢٠٠٨م).

٤.البغدادي، عبد القادر بن طاهر (ت٤٢٩هـ) ، الفرق بين الفرق، دار الكتب العلمية ، ط٣، (بيروت – ٢٠٠٥م)

٥.البلاذري، ابي الحسن أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ) ، جمل من أنساب الأشراف، حققه وقدم له : د. سهيل زكار، ود. رياض زركلي، دار الفكر ،للطباعة والنشر، (بيروت – ٢٠٠٠م)

٦.الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر البصري (ت٢٥٥هـ)، رسائل ا لجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، (القاهرة – ١٩٦٤م)

٧.الحسن البصري، رسائل العدل والتوحيد، تحقيق: محمد عمارة ، دار الشروق، ط٢، (بيروت – ١٩٨٨م)

٨.الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ)، الفقيه والمتفقه ، كتاب مطبوع آلياً.

٩.ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار إحياء التراث العربي، (بيروت – ١٩٩٥م).

١٠.الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، الأمالي ، مؤسسة الأعلمي ، (بيروت، ١٤٠٠هـ)

١١.ـــــ ،التوحيد، صححه : السيد هاشم الحسيني ، مكتبة الصدوق، (طهران – ١٣٩٨هـ)

١٢.ـــــ، ثواب الأعمال، منشورات الأعلمي، (بيروت – ٢٠٠٠)

١٣.ابن طاووس ، علي بن محمد بن موسى (ت٦٦٤هـ)، الإقبال ، (قم – د.ت)

١٤.اللهوف في قتلى الطفوف، مطبعة الهادي، (قم – ٢٠٠٣م)

١٥.الطبرسي، ابي منصور أحمد بن علي (ت٥٦٠هـ)، الاحتجاج على أهل اللجاج، تعليق: محمد باقر الموسوي، منشورات الأعلمي، (بيروت – ١٤٠٣هـ)

١٦.ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، العقد الفريد ، تحقيق: بركات يوسف، دار الارقم للطباعة والنشر، (بيروت – ١٩٩٩م)

١٧.ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسين (ت٥٧١هـ)، تأريخ مدينة دمشق، تحقيق: مجد الدين ابي سعيد العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر ، (بيروت – ١٩٩٥م)

١٨.الكليني، ابي جعفر محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ)، الكافي، صححه وعلق عليه : علي أكبر غفاري، مؤسسة دار الكتب الإسلامية ، ط٢، (طهران – ١٩٦٨م)

١٩.الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ) ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية ، (بيروت- د . ت)
٢٠.المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء للطباعة ، ط٣، (بيروت -١٩٨٣م).
٢١.ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النحاس ومحمد مطيع الحافظ، (بيروت – ١٩٩٠م)

المراجع

٢٢.البحراني، هاشم سليمان ، البرهان في تفسير القرآن ، مؤسسة اسماعيليان ، (قم – د.ت)
٢٣.الجلالي، محمد رضا الحسيني، جهاد الإمام السجاد ، مطبعة شمشاه ، (قم -١٤١٨هـ)
٢٤.الحائري، جعفر عباس، بلاغة علي بن الحسين عليه السلام ، ط٢، مطبعة كربلاء، (كربلاء – ١٣٨٥هـ)
٢٥.الحاج حسن ، حسين (الدكتور) ، الإمام السجاد جهاد وأمجاد ، دار المرتضى ، (بيروت – د.ت)
٢٦.الدوري، عبد العزيز ، مقدمة في التأريخ الاقتصادي العربي، (بيروت -٢٠٠٧م)
٢٧.الريس، محمد ضياء الدين ، النظريات السياسية الإسلامية ، ط٣، القاهرة – ٢٠٠٠م
٢٨.سيد الأهل، عبد العزيز ، زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام ، (بيروت – ١٩٥٣م)
٢٩.القرشي، باقر شريف، حياة الإمام زين العابدين عليه السلام دار الكتاب الإسلامي (قم -١٤٠٩هـ)
٣٠.القمودي، سالم ، سيكلوجيا السلطة ، دار المدى للنشر، (بيروت – ٢٠٠٠م)
٣١.الكوراني، علي الكوراني العاملي، جواهر التأريخ ، دار الهادي، (قم -١٤٢٨هـ).
٣٢.ثالثاً: الرسائل والأطاريح:
٣٣.مال الله ، حيدر لفته سعيد ، أساليب الدولة الأموية في تثبيت السلطة ، أطروحة دكتوراه – قيد النشر - ، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١١م.
٣٤.وهيب ، فاروق عباس، الحياة الاجتماعية في دمشق خلال العصر الأموي ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة بغداد ، ١٩٨٦م.

الحوار الحضاري مع الآخر عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام

م.د. محمد حسين السويطي
م.د. محمد فهد القيسي
جامعة واسط / كلية التربية

ملخص البحث

لضرورة فهم أساسيات منهج الحوار الحضاري البّناء مع الآخر في الفكر الإسلامي الأصيل الذي مثّله الإمام جعفر الصادق ، لغرض الإفادة منه في حل الأزمات الراهنة، كسياسة الإقصاء والاضطهاد والتهميش، التي تُعد أحد أهم أسباب تفكك الأمم وزوال حضاراتها، جاءت محاولتنا البحثية هذه الموسومة (الحوار الحضاري مع الآخر عند الإمام جعفر الصادق) .

ولتنوع موضوعات حوار الإمام مع الآخر وظروفه، واختلاف أساليبه وتنوعها، اقتضت الضرورة تقسيم البحث على أربعة محاور، صدرناها بهذه المقدمة، وخصصنا المحور الأول لتوضيح مفهوم الحوار الحضاري مع الآخر، وعرضنا في المبحث الثاني نماذج من حوارات الإمام الصادق مع حكام عصره، واستعرضنا في المحور الثالث نماذج من حواراته مع علماء عصره، وقدمنا في المحور الرابع نماذج من حواراته مع الملحدين والغلاة، وقفينا البحث بخاتمة تضمنت استعراضاً لأهم الاستنتاجات.

ABSTRACT

It is necessity to exploit the rudiments of such a dialogue in fathoming the other and solving the current cries : exile ، oppression an marginalization policies regarded as the main reasons in devastating nations and obliterating their civilizations ، therefore the Civilized Dialogue Of Imam Ja`afir Al-Sadiq (PBUH) with the Other rises to being and existence .

For the diversity of the dialogues the Imam hold ، it is to bifurcate the paper into four axes with an introduction، the first elucidates the concept of Civilized Dialogue Of Imam Ja`afir Al-Sadiq (PBUH) with the Other، the second does the samples of these dialogues with the readers of his time ، the third does the samples of dialogues with the scientists of his time and the fourth does the samples with the atheists and calumniators ،last the study concludes with the most important results ، we do ask Him that we do our best ، it is of perfection ، it is for Him ، it is of some faults ، it is we are human to error, no perfection but to Him .

المقدمة

ولد الإمام جعفر الصادق عليه السلام في المدينة المنورة سنة (٨٣هـ)، واستشهد فيها ولادته سنة (١٤٨هـ) على يد أبي جعفر المنصور العباسي (١٣٦-١٥٨هـ) حين أمر بدس السم له، وفي مسيرة حياته أقام مع جده علي بن الحسين عليه السلام نحو ثلاث عشرة سنة في بيت لاعهد له الا المصائب والنوازل جديد عهد بفاجعة كربلاء، وتجرّع في مطلع شبابه آلام استشهاد عمه زيد بن علي على يد الأمويين، وأقام بعد جده مع أبيه محمد الباقر عليه السلام نحو تسع عشرة سنةً، إذ اشترك معه في تأسيس جامعة أهل البيت التي ملأت الدنيا بآثارها، وأقام بعد أبيه نحو أربع وثلاثين سنة، وهي مدة إمامته عاصر فيها خمسة من حكام بني أمية، هم: هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ)، والوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦هـ)، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦هـ)، وإبراهيم بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦هـ)، ومروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ)، وحاكمين من دولة بني العباس، هم: أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ)، وأبو جعفر المنصور(١٣٦- ١٥٨هـ).[1].

وكلّف عليه السلام بمهام الإمامة في مرحلة حرجة من عمر الدولة العربية الإسلامية، إذ انحرفت دولة بني أمية عن سبيل الهدى واقترفت بحق المؤمنين أبشع الجرائم، وتراجعت دولة بني العباس الفتية عن وعودها بإنصاف الناس وتحقيق الأمن والسلام، ومن ثم اختلطت العناصر العربية بغيرها من الأمم، مما أدى إلى انحراف المنظومة الأخلاقية لأفراد المجتمع، وظهرت تيارات فكرية متنوعة، وقع بين أفرادها الخصام والجدل حول مسائل كثيرة، منها: صفات الخالق، والقضاء والقدر، ومسائل الغيب والثواب والعقاب، ودور العقل في الوصول إلى الحقيقة والدين، وهذه الظروف والمشكلات المعقدة أثقلت كثيراً مهمة الإمام عليه السلام، إلا انه عالجها بتطبيق الشريعة الإسلامية واعتماده حواراً حضاريا بناءً مع الآخر، بتوظيف مهاراته المعرفية والإدارية في حل الأزمات.

ولضرورة فهم أساسيات منهج الحوار الحضاري البّناء مع الآخر في الفكر الإسلامي الأصيل الذي مثّله الإمام جعفر الصادق ، لغرض الإفادة منه في حل الأزمات الراهنة، كسياسة الإقصاء والاضطهاد والتهميش، التي تُعد أحد أهم أسباب تفكك الأمم وزوال حضاراتها، جاءت محاولتنا البحثية هذه الموسومة بـ(الحوار الحضاري مع الآخر عند الإمام جعفر الصادق) .

ولتنوع موضوعات حوار الإمام مع الآخر وظروفه، واختلاف أساليبه وتنوعها، اقتضت الضرورة تقسيم البحث على أربعة محاور، صدرناها بهذه المقدمة، وخصصنا المحور الأول لتوضيح مفهوم الحوار الحضاري مع الآخر، وعرضنا في المبحث الثاني نماذج من حوارات الإمام الصادق مع حكام عصره، واستعرضنا في المحور الثالث نماذج من حواراته مع علماء عصره، وقدمنا في المحور الرابع نماذج من حواراته مع الملحدين والغلاة، وقفينا البحث بخاتمة تضمنت استعراضاً لأهم الاستنتاجات.

نسأل الله تعالى أن نكون قد وفقنا في إعطاء موضوع الدراسة قيمته العلمية التي يستحقها، ويبقى عملنا هذا من صنع البشر، فما كنا فيه على صواب فذلك بفضل الله (عز وجل) وبتوفيق منه، وان تسربت إليه الهفوات فالإنسان خطّاء ما عاش، والكمال لله (جل جلاله) وحده.

المحور الأول (مفهوم الحوار الحضاري مع الآخر):

باقتران المفردات (**الحوار**) مع (**الحضاري**) و(**الآخر**) يكون المعنى الإجمالي هو: التفاهم والمناقشة العلمية الراقية التي يستعمل فيها الأدلة والبراهين مع المخالفين لأجل إقناعهم عن ما آمنوا به واعتقدوا، وبالنتيجة إرشادهم إلى طريق الحق والصواب، الذي فيه مرضاة لله سبحانه وتعالى وبناءً للمجتمع الإنساني وتطوير لمنظومته الأخلاقية[٢].

وورد الحوار في القرآن الكريم بمصطلحات عديدة دلت على المناقشة الموضوعية الهادفة مع الآخر، بغية الوصول إلى السبيل الصحيح، منها: (**الجدال**) و(**الحوار**)، وقد اجتمع اللفظان في قوله تعالى: ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى الله**

﴿ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾[٣].

وبحسب السنن الإلهية فان وجود الآخر ضرورة لابدّ منها لاستدامة الحياة وعدم ركودها، فالاختلاف واقع بين الناس، فهم مختلفون في ألوانهم وألسنتهم وطباعهم ومُدركاتهم ومعارفهم وعقولهم، وكل ذلك آية من آيات الله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾[٤]، وهذا الاختلاف الظاهريّ دالٌّ على الاختلاف في الآراء والاتجاهات، وبين الله تبارك وتعالى هذا الأمر بقوله الكريم: ﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾[٥].

ومن اجل أن يكون الحوار بناءً ومثمراً في تصحيح مسارات أبناء المجتمعات الإنسانية، وضّح الباري (عز وجل) في كتابه العزيز أصول الحوار الحضاري الهادف ومنهجه القويم، ومنها: اعتماد سبيل العلم والمعرفة والالتزام به، استناداً لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٦]، وسلامة كلام المحاور ووضوح مفرداته وسلامة أدلته من التناقض، وأن يكون هناك اتفاق على منطلقات ثابتة، تكون أساس الحوار، بعضها عقلية؛ كحُسْنِ الصدق، وقُبحِ الكذب، وشُكر المُحسن، ومعاقبة المُذنب، وأخرى دينية لا يختلف عليها المعتنقون لهذه الديانة أو تلك، استناداً لقوله تعالى: ﴿ ... مَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[٧]، وأن يتجرد طرفا الحوار، ويقصدا الحق، ويبتعدا عن التعصب، ويلتزما بآداب الحوار، ويكونا مؤهلين له، حكمين عاقلين عارفين، لذلك قال إبراهيم عليه السلام في محاجَّته لأبيه حين قال: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً ﴾[٨]، وأن يلتزما بالقول الحسن، ويتجنبا التعنيف، استناداً لقوله تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... ﴾[٩].

وكان الإمام جعفر الصادق عليه السلام خير مصداق لما ورد في القرآن الكريم، فقد اعتمد أسساً علمية متينة للحوار، كان في طليعتها (**الصدق**)، الذي تمثل بوصاياه وإرشاداته ومنها: «**تعلّموا الصدق قبل الحديث**»[١٠]، و(**سعة الاطلاع والعلم**)، كما في وصيته لأحد طلبته بأن

«لا تطلب العلم لثلاث: لترائي به، ولا لتباهي به، ولا لتماري به، ولا تدعه لثلاث: رغبة في الجهل وزهادة في العلم، واستحياءً من الناس، والعلم المصون كالسراج المطبق عليه»[11].

المحور الثاني- نماذج من حوار الإمام جعفر الصادق صلى الله عليه وآله مع حكام عصره:

تجرع الإمام جعفر الصادق صلى الله عليه وآله من حكام عصره أنواع الآلام والمضايقات، فجعلوا العيون والحراس عليه حتى يطلعوا على دقائق حياته، وظل كذلك مراقباً من السلطة حتى استشهاده على أثر تزايد شعبيته وتقرب الناس إليه، وهو ما أخاف حكام عصره ومخالفيه، فقدموا على فعلتهم هذه، لكن مع ذلك كله حرص الإمام عليه السلام على حوارهم معتمداً في ذلك أساليب متنوعة استندت الى التزامه الكامل بتوجيهات الإسلام وتعاليمه الرافضة للظلم والعدوان، بغية تقديم دروس عملية لأفراد المجتمع الإنساني في التفاهمات والمناقشات مع المخالفين لهم ولآرائهم، وبالنتيجة تحقيق مجتمع تسوده مفاهيم الخير والتسامح والعدل والمساواة والأمن والأمان.

ومما يؤسف عليه أن معلوماتنا عن حوارات الإمام عليه السلام مع معاصريه من حكام بني أمية قليلة، نستطيع أن نقول في ضوئها أنه لم يكن هناك توجه نحو تحجيمه عليه السلام وإبعاده عن الناس، لاسيما بعد أن صار طلبة العلم يجتمعون به، وصار لجامعة أهل البيت صدى واسع في العالم الإسلامي، ولانجد مسوغاً لذلك الا القول: إن رغبة حكام بني أمية في تصفية الإمام عليه السلام لم يستطيعوا تنفيذها لأسباب كثيرة في طليعتها أن حكمهم بدأ يتجه نحو الضعف، وصار الناس في كل مكان يجابهون عمالهم ويتمردون على أوامرهم.

وأما في العصر العباسي فقد وردتنا معلومات عن حوار الإمام عليه السلام مع أصحاب السلطة، وعلى قلتها الا أنها توحي لمتطلعها أنه عليه السلام قد امتاز بتنوع أساليب حواره وبحسب الظروف المحيطة، مظهراً بذلك براعة منقطعة النظير، فتارة يلين بالقول ويجهد في براءته إن عرف أن اللين أسلم، وأخرى يلاقيهم بالشدّة والعنف، إذا عرف أن الخشونة ألزم، وإذا به يقول للمنصور في موضع آخر: **«فإن كففت وإلا أجرينا اسمك على الله عزّ وجل في كلّ يوم خمس مرّات»**[12].

ومن الأخبار التي وردت إلينا عن حوار الإمام عليه السلام مع حكام بني العباس، أن المنصور استدعاه لشيء بلغه عنه، فلما دنا عليه السلام من باب المنصور خرج إليه الحاجب وقال: «**أعيذك بالله من سطوة هذا الجبار يا أبا عبد الله فاني رأيت ضرره عليك شديداً**»، فقال عليه السلام: «**علي من الله واقية تعينني عليه إن شاء الله، استأذن لي عليه**»، فلما أذن له ودخل عليه السلام، قال له المنصور بغضب: «**يا جعفر قد علمت أن رسول الله قال لأبيك علي بن أبي طالب لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك قولاً لا تمر بملأ من الناس ألا وأخذوا التراب من تحت قدميك، وقال علي: يهلك في اثنان ولا ذنب لي، محب غال ومبغض مفرط، وإنما قال ذلك اعتذاراً لأنه لا يرضى بما يقوله فيه المحب والعدو، وأنت تعلم ما يقال فيك**»، فقال عليه السلام: «**أنا فرع من تلك الزيتونة وقنديل من قناديل بيت النبوة**»، فالتفت المنصور لجلسائه وقال: «**لقد أحالني على بحر لا يدرك طرفه ولا يبلغ عمقه، هذا هو الشجى المعترض في حلوق الحكام الذي لا يجوز نفيه ولا يحل قتله، ولولا ما يجمعني وإياه من شجرة طاب أصلها وبسق فرعها وعذب ثمرها، لكان مني إليه ما لا تحمد عقباه**»، ثم التفت الى الإمام عليه السلام وقال: «**لقد صفحت عنك يا أبا عبد الله لصدقك، فحدثني بحديث أنتفع به ويكون لي زاجراً من الموبقات**»، فقال عليه السلام: «**عليك بالحلم فانه ركن العلم، وأملك نفسك عند أسباب القدرة فانك إن تفعل ما تقدر عليه كنت كمن شفى غيظاً وتداوى حقداً ويجب أن يذكر بالصولة، وأعلم بأنك إن عاقبت مستحقاً لم يكن غاية ما توصف به الا العدل، والحال التي توجب الشكر أفضل من الحال التي توجب الصبر**»، فقال المنصور: «**لقد وعظت فأحسنت وقلت فأوجزت**»[١٣].

ونلحظ هنا اقتناع الآخر – المنصور العباسي- بحديث الإمام الصادق وحججه، وهو غاية الحوار البناء وهدفه الأسمى، كما نلحظ في هذا الموقف نجاح الإمام عليه السلام في نقل المنصور من حالة إلى أخرى، على الرغم من شدة غضبه على الإمام، كما نلحظ هنا استعماله عليه السلام أسلوب الحوار الهادئ القائم على مقابلة الشدة باللين، والجحود بصلة الرحم، وتصرفه عليه السلام في هذا الموقف لم يكن نابعاً عن حرصه على نفسه، بل حرصه على الخط المحمدي والأمانة الملقاة على

عاتقه في صيانة الإسلام المحمدي الأصيل.

وفي سنة (١٤٤هـ) وفد المنصور العباسي الى المدينة لأداء فريضة الحج، فأمر وزيره **(الفضل بن الربيع)** باستدعاء الإمام عليه السلام، فلما حضر قال له الفضل: «**يا أبا عبد الله لقد أرسل إليك لأمر عظيم وما أظنك بناج منه**»، فأجابه عليه السلام: «**لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم**»، ثم دخل على المنصور وسلم عليه فلم يرد السلام وقال له: «**لقد اتخذك أهل العراق إماماً يجبون لك الأموال من الزكاة وغيرها وتلحد في سلطاني وتبغيني الغوائل في ملكي، قتلني الله إن لم أقتلك**»، فقال عليه السلام: «**إن سليمان النبي أعطي فشكر، وإن أيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف بن يعقوب ظُلم فغفر، فاقتد بأيهم شئت**»[١٤].

ونلحظ من صيغة الحوار المتقدم أن الإمام عليه السلام لم يجد بداً من مقابلة طاغية زمانه وهو بتلك الحالة من الحقد والغضب عليه الا بهذا الأسلوب الهادئ اللين الذي هو من أبلغ ما يمكن أن يكون في مثل هذه الحالات، ومضمونه: إن الله تبارك وتعالى أنعم على عباده واستحق شكرهم، كما شكره سليمان على نعمه وأنت محاط بنعم الله من جميع جوانبه، والتنكيل بالأبرياء على الظنة والتهمة كفر وجحود لنعم الله، وإذا كنت تراني بلاء عليك فلو صبرت على هذا البلاء كما صبر أيوب على أسوأ أنواع البلاء نلت أجر الصابرين، وإذا كنت تراني ظالماً لك فلو اقتديت بيوسف وعفوت كما عفا عمن ظلمه كان ذلك أقرب للتقوى والله يحب المحسنين. وكان لجوابه عليه السلام هذا أثر في نفس المنصور وأطرق برأسه –بحسب ما تقول الرواية– واتجه الى الإمام عليه السلام بغير الوجه الذي قابله فيه من قبل فأدناه إليه واعتذر منه.

وفي موضع آخر روى المؤرخون أن المنصور استدعى الإمام الصادق عليه السلام وأجلسه الى جانبه، وهو كالعادة يكن له البغض والحسد، وينوي قتله، وفي أثناء الحوار وقع الذباب على وجه المنصور، ولم يزل يقع على وجهه وأنفه حتى ضجر منه، فقال: «**لم خلق الله الذباب يا أبا عبد الله**»، فقال الإمام عليه السلام: «**ليذل به أنف الجبابرة**»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿... **وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ** ﴾، فتغير لون وجه المنصور ولم يتكلم معه بما يسيء إليه كلمة واحدة[١٥].

واستعمل هنا الإمام عليه السلام أسلوباً في غاية الذكاء بحواره مع الآخر –المنصور العباسي– وهو استعمال الرمز في سبيل الوصول إلى غايته، فلأن الإمام عليه السلام كان مكلفاً بحفظ نفسه من الضرر، وفي الوقت نفسه هو مُكلف بهداية الناس ومساعدتهم في التخلص من ذنوبهم، فقد وقع في ظرف دقيق جداً، فمن جانب كانت أية بادرة تبدر منه وتفهم منها السلطة الحاكمة انه يعمل على أخذ الحكم منها، سيجابه بعقوبات قاسية، لكنه في الوقت نفسه كان مسؤولاً عن تنبيه الناس الى أخطائهم وتصحيح مساراتهم.

و روي أن المنصور استدعى الإمام عليه السلام مرة ليعاتبه على قطيعته له، وكان قد زار المدينة ولم يدخل عليه الإمام عليه السلام فيمن زاره من الوجوه والأشراف، فقال له: «**لم لا تغشانا كما يغشانا الناس**»، فأجابه الإمام عليه السلام: «**ليس لنا من أمر الدنيا ما نخافك عليه، ولاعندك من أمر الآخرة ما نرجوه منك، ولا أنت في نعمة نهنئك بها، ولا في نقمة فنعزيك**»، فقال له المنصور: «**تصحبنا لتنصحنا**»، فرد عليه عليه السلام بقوله: «**إن من يريد الدنيا لا ينصحك ومن يريد الآخرة لا يصحبك**»، فقال المنصور: «**والله لقد ميز عندي منازل الناس من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة، وانه لمن يريد الآخرة لا الدنيا**»[١٦].

ويتبين من هذا الحوار أن الإمام عليه السلام استعمل مفردات بسيطة ومفهومة ذات مقاصد عميقة، فاستطاع توصيل رسالته في نكرانه لشرعية الحكم العباسي، لكن بطريقة رمزية، وهذا بحق من أعقد حالات النقاش والحوار وأسماها، والذي لا يتمكن منه إلا من اكتملت قدرته العقلية ووصلت ذروتها، وهو ما وجد عند الأئمة والأولياء الصالحين، بفضل الرعاية الإلهية لهم.

ولم يقتصر حوار الإمام جعفر الصادق عليه السلام على الحكام فحسب بل تعدى إلى المسؤولين الآخرين، ومنهم: والي المنصور في المدينة (**شيبة بن غفال**)، الذي نال في خطبته من أمير المؤمنين، وكان ذلك سنة ١٤٥هـ بعد قضائه على ثورة محمد وإبراهيم ذي النفس الزكية أولاد عبد الله بن الحسن، في محاولة منه لخداع الرأي العام والتخفيف من وطأة جريمة العباسيين بحق العلويين، فقال ضمن ما قال: «**فان علي بن أبي طالب شق عصا المسلمين وحارب المؤمنين وأراد**

الأمر لنفسه ومنعه من أهله، فحرمه الله عليه وأماته بغصته، وهؤلاء ولده يتبعون أثره في الفساد وطلب الأمر من غير استحقاق منهم له، فهم في نواحي الأرض مقتولون وبالدماء مضرجون»، وقد وقع هذا الكلام على الحاضرين كالصاعقة، لكن لخوفهم من بطش الحكومة العباسية لم يحرك أي منهم ساكناً أو يرد على هذا الكلام المزيف، لكن شاء الله تبارك وتعالى أن يمر الإمام الصادق عليه السلام بجنب المسجد فسمع الخطابة، فبعد أن فرغ الوالي من بدعه وزيفه بحق آل أبي طالب، قال الإمام بعد أن حمد الله وصلى على رسوله: «**أما ما قلت من خير فنحن أهله وما قلت من سوء فأنت وصاحبك أولى به**»، ولغرض إتمام الحجة التفت الى الناس وقال: «**ألا أنبئكم بأخف الناس ميزاناً وأبينهم خسراناً يوم القيامة، ألا وان من أخف الناس ميزاناً وأسوئهم حالاً من باع آخرته بدنيا غيره، وهو هذا**»، فسكت الوالي وخرج من المسجد مذموماً مدحوراً[١٧].

وهذا الحوار وان كان سريعاً، إلا إنه عبر عن جملة عبر ودروس، منها: إن الإمام الصادق عليه السلام كان في أعماق نفسه شاعراً بتقدمه على من يدعي انه قائد لهذه الأمة، لذلك اتسم حواره بالشدة –كلما احتاج الوضع لذلك– كما حمل مقاصد تربوية عميقة وقيماً إسلامية رفيعة، أهمها: حب الناس لأهل البيت عليهم السلام الذي جعله عليه السلام يتحدث وهو مطمئن إلى انه لن يطلب احداً، ولا يطلبه احد بحق، على عكس الآخر الذي كان خائفاً من الناس، لذلك حاول استمالتهم وخداعهم عن طريق التزويق في الكلام وإخفاء الحقائق.

المحور الثالث– نماذج من حوار الإمام الصادق عليه السلام مع علماء عصره:

لقد حاور الإمام عليه السلام فريقاً من العلماء والمتكلمين والمدعين بالعلم والمعرفة، مستعملاً الحوار الهادئ الرصين المدعوم بالحجج والبراهين التي لم تدع لهم مخرجاً.

ومن ذلك ما روي عن (**عمرو بن عبيد المعتزلي**) حين طلب من الإمام عليه السلام أن يعدد له الكبائر قائلاً: أحب أن أعرفها من كتاب الله أو سنة نبيه، وسبب هذا الحوار كان الصراع الذي بلغ أقصى حدوده بين المعتزلة والخوارج والمرجئة في مصير مرتكب الكبيرة، فالخوارج كانوا يصفونه بالكفر بينما يقول المعتزلة إنه في منزلة بين المنزلتين، والمرجئة يصفونه بالإيمان

ويدعون بأن المعصية مهما بلغ شأنها لا تسلبه صفة الإيمان. فأجاب الإمام عليه السلام الى طلبه وبدأها بـ(**الشرك بالله**)، الذي عده أكبر الكبائر، لقوله تعالى: ﴿ ... **إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ** ... ﴾[١٨]، وعد منها: (**عقوق الوالدين**)، لأن العاق لوالديه جبار شقي، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ **وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً** ﴾[١٩]، و(**قذف المحصنات**)، لأن الله يقول: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[٢٠]، و(**الفرار من الزحف**)، لأن الله يقول: ﴿ **وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾[٢١]، و(**قتل النفس**)، لأن الله يقول: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً** ﴾[٢٢]، و(**نقض العهد وقطيعة الرحم**)، لأن الله يقول: ﴿ **الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾[٢٣]، ومضى الإمام عليه السلام في تعداد الكبائر مع بيان أدلتها من الكتاب والسنة حتى أتى على آخرها، وعمرو بن عبيد يستمع لبيانه بشوق ولهفة، فلما انتهى الإمام عليه السلام قال عمرو: «**هلك من سلبكم تراثكم ونازعكم في الفضل والعلم**»[٢٤].

وروي أيضاً أن الإمام حضر لمَجلس المنصور يوماً وعنده رجل من الهند يقرأ كتب الطبّ فجعل عليه السلام ينصت لقراءته، فلما فرغ الهندي قال له: يا أبا عبد الله أتريد ممّا معي شيئاً ؟ قال عليه السلام: «**لا، فإن معي ما هو خير ممّا معك**»، قال الهندي: «**وما هو؟**» قال عليه السلام: «**أداوي الحار بالبارد والبارد بالحار، والرطب باليابس واليابس بالرطب، وأردّ الأمر كلّه الى الله عزّ وجل، وأستعمل ممّا قاله رسول الله صلى الله عليه وآله، واعلم أن المعدة بيت الداء وأن الحميّة هي الدواء، وأعود البدن ما اعتاد**»، فقال الهندي: «**وهل الطبّ إلا هذا؟**» فقال عليه السلام: «**أفتراني عن كتب الطبّ أخذت**»، قال الهندي: «**نعم**»، قال عليه السلام: «**لا والله ما أخذت إلا عن الله سبحانه، فاخبرني أنا أعلم بالطبّ أم أنت؟**» فقال الهندي: «**لا بل أنا**»، فقال عليه السلام: «**فأسألك شيئاً**»، قال الهندي: «**سل**»، فسأله عليه السلام جملة أسئلة منها: «**لِمَ كان في الرأس شؤون –يعني ؟ ولِمَ جعل الشعر عليه من فوقه؟ ولم خلت**

الجبهة من الشعر؟ ولم كان الحاجبان من فوق العينين؟ ولم كان ثقب الأنف في أسفله؟ ولم كان القلب كحب الصنوبر؟ ولم كانت الكلية كحب اللوبيا؟ ولم تحصرت القدمان؟» فعجز الهندي عن الإجابة وطلب من الإمام الإجابة عنها، فأجاب عليه السلام مفصلاً في كل سؤال، ومستعملاً أدلة وحجج علمية دامغة دلت على علميته الثاقبة، والهندي يستمع مذهولاً، فلما انتهى عليه السلام قال الهندي: «**أشهد أن لا الله الا الله وأن محمد رسول الله وعبده وانك أعلم أهل زمانك**»[٢٥].

ونلحظ من هذا الحوار تدرج الإمام عليه السلام في إقناع الهندي، واستعماله في الحوار معه ما عنده من حجج وبيانات، إذ حاججه بالعلوم الطبية والصحية التي زعم انه عارفٌ بها، ثم أرشده بها الى سبيل الحق والصواب ومصدر الطب والمعرفة وسائر الأشياء وهو الله تبارك وتعالى، وقد نجح في ذلك خير نجاح.

وجاء في بعض المرويات أن حواراً جرى بين الإمام و(**أبي حنيفة النعمان**)، ومما ورد فيه سؤال الإمام؟ «**بم تفتي أهل العراق يا أبا حنيفة؟**»، فقال: «**بكتاب الله**»، قال الإمام: «**وأنت لعالم بالكتاب ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه؟**»، قال: «**نعم**»، قال الإمام: «**فأخبرني عن قوله تعالى: ﴿... وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ﴾، أي موضع هذا**»، قال: «**هو ما بين مكة والمدينة**»، فالتفت الإمام عليه السلام لجلسائه وقال: «**نشدتكم بالله هل تسيرون بين مكة والمدينة وتأمنون على دمائكم وأموالكم؟**» فقالوا لا: فقال عليه السلام: يا أبا حنيفة إن الله لا يقول الا حقاً، أخبرني عن قوله تعالى: ﴿...**وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً**...﴾ أي موضع هو؟ قال: «**ذلك بيت الله الحرام**»، فالتفت الإمام الى جلسائه وقال: «**نشدتكم بالله هل تعلمون أن عبد الله بن الزبير وسعيد بن جبير دخلاه ولم يأمنا القتل؟**» فقالوا: «**اللهم نعم**»، فقال أبو حنيفة: «**ليس لي علم بالكتاب إنما أنا صاحب قياس**»، فقال الإمام: «**فأنظر في قياسك إن كنت مقيساً، أيما أعظم عند الله القتل أو الزنا؟**»، قال: «**القتل أعظم**»، قال الإمام: «**فكيف رضي في القتل بشاهدين ولم يرض في الزنا الا بأربعة شهود**»، واستمر الحوار الى أن قال أبو حنيفة: «**أنا صاحب رأي**»، فقال الإمام: «**فما ترى في رجل كان له عبد فتزوج وزوج عبده في ليلة واحدة**

فدخلا بزوجتيهما في ليلة واحدة أيضاً، ثم سافرا فتركا زوجتيهما في بيت واحد وولدتا غلامين، فسقط البيت عليهم فقتل المرأتين وبقي الغلامان أيهما في رأيك المالك وأيهما المملوك وأيهما الوارث وأيهما الموروث؟»، فعجز عن الإجابة وقال: «**إنما أنا صاحب حدود**»، فقال له الإمام: «**فما ترى في رجل أعمى فقأ عين صحيح، و قطع يد رجل كيف يقام عليهما الحد؟**»، فعجز عن الإجابة أيضاً ثم قال: «**إنما أنا رجل عالم ببعث الأنبياء**»، قال الإمام: «**فأخبرني عن قوله تعالى لموسى وهرون حين بعثهما الى فرعون ﴿ ...لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ أليست لعل للشك؟**»، قال: نعم، قال الإمام: «**فهل هي من الله شك؟**»، قال: «**لا أعلم**»، وعند ذاك قال الإمام: «**تزعم أنك تفتي بكتاب الله ولست ممّن ورثه، وتزعم أنك صاحب قياس وان دين محمد لا يدخله القياس، وأول من قاس إبليس فهلك بقول الله تعالى، ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾**»، **وتزعم أنك صاحب رأي وكان الرأي من رسول الله صواباً ومن غيره خطأً، لأن الله يقول: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ... ﴾، ولم يقل ذلك لغيره، وتزعم بأنك صاحب حدود ومن أنزلت عليه أولى بعلمك منك، وتزعم أنك عالم بمباعث الأنبياء وخاتم الأنبياء أعلم بمباعثهم منك، ولولا يقال إن أبا حنيفة دخل على ابن رسول الله ولم يسأله ما سألتك عن شيء**»، فقال أبو حنيفة: «**لا أتكلم بالرأي والقياس بعد هذا اليوم**»، فقال الإمام: «**كلا إن حب الرياسة غير تاركك كما لم يترك من كان قبلك**»[٢٦].

وذكرت المصادر أن جماعة من علماء الأنصار ومفكريهم جاؤوا الى الإمام عليه السلام يوماً وسألوه: هل «**فضل موسى وعيسى ومحمّد سواء، لأنهم أصحاب الشرائع والكتب**»، فقال عليه السلام: «**محمّد أفضل منهما وأعلم، ولقد أعطاه الله تبارك وتعالى من العلم ما لم يعطِ غيره**»، فقالوا: «**آية من كتاب الله تعالى نزلت في هذا؟**» قال عليه السلام: «**نعم قوله تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ... ﴾**[٢٧]، **وقوله تعالى للسّيد المصطفى ﴿ ... وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ... ﴾**[٢٨]، **وقوله تعالى: ﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً ﴾**[٢٩]، **فهو والله أعلم منهما، ولو حضر موسى وعيسى بحضرتي**

وسألاني لأجبتهما، وسألتهما ما أجابا»[٣٠].

ونلحظ من جملة الحوارات المتقدمة أن الإمام عليه السلام التزم بالأسلوب العلمي المنطقي في الإقناع وتبادل الحجج العلمية، بردّه الحجة بالحجة والدليل بالدليل، فبعض النواهي الشرعية لاتعرف الحكمة في النهي عنها، لذا لا يمكن التدقيق فيها، وبالنتيجة يصل الحوار إلى نقطة لا يمكن الاستمرار فيه، بل يجب على المحاور الاقتناع بحجة المحاور، وهذا ما سار عليه الإمام، كما قدم في الوقت نفسه درساً بليغاً مفاده: إن من أساسيات الحوار أن يكون المحاور قادراً ومتمكناً من المجال الذي يتم الحوار فيه، وكلما كان الشخص أكثر تخصصاً كانت نتائج الحوار أكثر ثمرة ونضجاً.

المحور الرابع- نماذج من حوار الإمام الصادق عليه السلام مع الملحدين والفاسقين والغلاة:

لم يقتصر حوار الإمام عليه السلام على العلماء والحكماء والمدعين العلم فحسب، بل شمل كذلك بحواراته العلمية البناءة الملحدين والفاسقين والمغالين، لغرض فضحهم أمام عامة الناس ووأد أفكارهم التي تسمم عقول الناس، فضلاً عن محاولته لإعادة هؤلاء الى سبيل رشدهم وتصحيح مسارهم الفكري المنحرف، مستعملاً معهم الحوار الهادئ الرصين المدعوم بالحجج والبراهين التي لم تدع لهم مخرجاً.

فقد كان الغلو من أبرز المشاكل التي واجهها الإمام الصادق عليه السلام، وسبّبها المندسون بين أصحابه عليه السلام الذين سعوا الى تشويه تراث أهل البيت عليهم السلام وتخريبه، فوضعوا جملة من الأحاديث ونسبوها للرسول الكريم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام، وكان غالبيتها لايتفق مع أصول الإسلام ومبادئه، فأدت تداعيات هذا التيار الى ظهور اتجاه الغلو في حب الأئمة عليهم السلام، لما جعلوهم فوق مستوى البشر وأعطوهم صفات الآلهة، وقد استغلت السلطة العباسية هذا الاتجاه في عهد الإمام الصادق وغذته بهدف تشتيت الناس عن الإمام عليه السلام، دل على ذلك مكافأتها لزعامات هذا الاتجاه، كتكليفها لـ(**أبي البختري**)[٣١] المعروف بكذبه ووضعه للأحاديث بالقضاء.

وكان للإمام الصادق عليه السلام موقف حازم من هؤلاء، فوضع منهجاً متكاملاً وواضحاً لمواجهتهم، كان أول خطواته إعلانه البراءة من الرواة الذين تحدثوا بما لا يتوافق مع القرآن الكريم والسنة

النبوية الشريفة، ثم اعمامه ونشره بين أفراد المجتمع الإسلامي من طريق طلبته وأصحابه بعض أقواله الفاضحة لهؤلاء المنحرفين، ومنها قوله: «**والله ما الناصب لنا حرباً بأشد علينا مؤونة من الناطق علينا بما ننكره وبما لم نقله في أنفسنا**»[٣٢]، وقوله: «**إن الناس قد أولعوا بالكذب علينا، واني أحدث أحدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير وجهه، وذلك أنهم كانوا لا يطلبون بأحاديثنا ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا، وكل يحب أن يدعى رأسا**»[٣٣]؛ ثم أتم برنامجه بوصيته لأصحابه وطلبة العلم بأن لا يقبلوا كل ما يرويه الرواة عن أهل البيت، ووضع قاعدة علمية لكل لذلك يرجعون إليها ليتأكدوا من صحة ما ينسب الى أهل البيت، تضمنها قوله: «**لا تقبلوا علينا الا ما وافق القرآن والسنة، أو ما تجدون عليه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة**»[٣٤].

ولم تكن مشكلة الملحدين والفاسقين بأقل خطراً من مشكلة المغالين، لذلك وضع الإمام الصادق عليه السلام في أولويات منهجه التصحيحي التصدي لهم باعتماد أسلوب الحوار العلمي، ومما روي بخصوص حواراته عليه السلام في هذا الصدد أن (**ابن أبي العوجاء**)، وجد يوماً الناس مجتمعة على الإمام عليه السلام بالمسجد الحرام يفتيهم ويجيب مسائلهم بالحجج والبراهين، فحاول بث الأوهام وما يعتقد به من أفكار بالية وكافرة بين الناس، فأجابوه: «**هل لك في تغليط هذا الجالس**»، فقال: نعم، ثم تقدم نحو الجماهير وشق حشودها حتى وقف بقرب الإمام وقال له: «**يا أبا عبد الله أتأذن لي بسؤال**»، فقال له الإمام: «**سل ما شئت**»، فقال: «**الى كم تدوسون هذا البيدر وتلوذون بهذا الحجر وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر؟ من فكر في هذا وقدر علم أنه فعل غير حكيم ولا ذي نظر، فقل فانك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك أساسه ونظامه**»، فقال الإمام: «**إن من أضله الله وأعمى قلبه استوخم الحق ولم يستعذبه وصار الشيطان وليه وربه ويورده موارد الهلكة ولا يصدره، وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانه على تعظيمه وزيارته، وجعله قبلة للمصلين له فهو شعبة من رضوانه وطريق يؤدي الى غفرانه، منصوب على استواء الكمال ومجمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام، فأحق من أطيع فيما أمر والانتهاء عما زجر**

هو الله المنشئ للأرواح والصور»، فقال له ابن أبي العوجا: «**ذكرت يا أبا عبد الله فأحلت على غائب**»، فقال له الإمام: «**كيف يكون يا ويلك غائباً من هو مع خلقه شاهد وهو أقرب إليهم من حبل الوريد يسمع كلامهم ويعلم أسرارهم، لا يخلو منه مكان ولا يشغل به مكان، ولا يكون الى مكان أقرب منه الى مكان، تشهد بذلك آثاره وتدل عليه أفعاله، والذي بعث بالآيات المحكمة والبراهين الواضحة محمد بن عبد الله الذي جاءنا بهذه العبادة فان شككت في شيء من أمره فأسأل عنه أوضحه لك**». فسكت ابن أبي العوجا ولم يدر ما يقول وانصرف من بين يديه وقال لأصحابه: «**سألتكم أن تلتمسوا لي خمرة فألقيتموني على جمرة**»، فقالوا له: «**اسكت فوالله لقد فضحنا بحيرتك وانقطاعك، وما رأينا أحقر منك اليوم في مجلسه**»[٣٥].

وفي حوار مع زنديق هو (**أبو شاكر الديصاني**) أجاب الإمام على سؤاله طرحه نص على: «**ما الدليل على أن لك صانعاً؟** فقال الإمام: «**وجدت نفسي لا تخلو من إحدى جهتين، إمّا أكون صنعتها أنا أو صنعها غيري، فإن كنت صنعتها فلا أخلو من إحدى جهتين إمّا أنّ أكون صنعتها وكانت موجودة فقد استغنت بوجودها عن صنعتها، وإن كانت معدومة فإنك تعلم أن المعدوم لا يحدث شيئاً، فقد ثبت المعنى الثالث أن لي صانعاً وهو ربّ العالمين**»، فقام الديصاني وهو لا يعلم ما يقول أو يجيب مردداً انك حجة الله على خلقه واني تائب مما كنت فيه[٣٦].

وفي موضع آخر دخل الديصاني على الإمام وسأله: «**ما الدليل على حدث العالم**»، فقال الإمام: «**يستدل عليه بأقرب الأشياء**»، فقال الديصاني: «**وما هو**»، فدعا الإمام طفل بجنبه كان يلعب ببيضة فأخذها منه و» **وضعها على راحته فقال هذا حصن ملموم داخله غرقى تطيف فيه فضة سائلة و ذهبة مائعة ثم تنفلق عن مثل الطاووس أدخلها شيء؟**» قال الديصاني: «**لا**»، فقال الإمام: «**فهذا الدليل على حدث العالم**»، قال الديصاني: «**أخبرت فأوجزت، وقلت فأحسنت، وقد علمت أنا لا نقبل الا ما أدركناه بأبصارنا، أو سمعناه بآذاننا، أو لمسناه بأكفنا، أو شممناه بمناخرنا، أو ذقناه بأفواهنا، تصور في القلوب بياناً، واستنبطته الروايات ايقاناً**»، فقال الإمام: «**ذكرت الحواس الخمس وهي لا تنفع شيئاً بغير دليل كما لا تنفع الظلمة بغير مصباح**»[٣٧].

وهكذا استطاع الإمام باستعماله الأدلة القاطعة والحجج الدامغة من إقناع الآخر (الديصاني) الذي كان مخالفاً تماماً لتوجهات الإمام ورؤاه في التوحيد والمسائل العقائدية الأخرى.

ومن المشاكل الفكرية التي ظهرت في زمن الإمام الصادق شبهة التجسيم التي روج لها بعض الزنادقة فدخلت في بعض معتقدات أهل الآراء والمذاهب من المسلمين، الذين يجمدون في الدين على الظواهر، وكان للإمام فضل كبير في تحجيم هذا التوجه بحواراته العلمية الرصينة، ومن جملة ما روي في هذا الصدد حواره مع رجل لم تسمه المصادر كان يعتقد بالتجسيم، فقال له الإمام بعد جدال طويل: «**إن الجسم محدود متناه، والصورة محدودة متناهية، فإذا احتمل الحدّ احتمل الزيادة والنقصان، وإذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً**»[٣٨]. وفي موضع آخر سأله سائل بهذا الصدد فأجاب: «**لا جسم ولا صورة وهو مجسّم الأجسام، ومصوّر الصور، لم يتجزّأ ولم يتناه، ولم يتزايد ولم يتناقص، لو كان كما يقولون لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق، ولا بين المنشئ والمنشأ، لكن هو المنشئ فرّق بين جسمه وصوره وأنشأه، إذ لا يشبهه شيء ولا يشبه هو شيئاً**»[٣٩]. فما أروع هذا البيان وقوة حجته ومتانة تركيبه، فأغنى بوضوحه عن إيضاحه.

ومن حوارات الإمام الأخرى مع الخارجين عن سبيل الصواب، ما روي بأنه كان بمصر زنديق أرسل لمناظرة الإمام، فخرج الى المدينة ليناظره فلم يصادفه بها، وقيل: إنه خارج بمكّة، فخرج الى مكّة فصادفه الإمام في الطواف، وكان اسمه عبد الملك، وكنيته أبو عبد الله، فضرب كتفه كتف الإمام، فقال له: «**ما اسمك؟**» قال: «**عبد الملك**»، قال الإمام: «**فما كنيتك؟**» قال: «**أبو عبد الله**»، فقال الإمام: «**فمن هذا الملك الذي أنت عبده؟ أمن ملوك الأرض أم ملوك السماء؟ واخبرني عن ابنك عبد إله السماء أم عبد إله الأرض؟ قل ما شئت، تخصم**». فلم يحرّ جواباً. ثمّ قال له الإمام: «**إذا فرغت من الطواف فأتنا**»، فلما فرغ أتاه الزنديق فقعد بين يدي الإمام، فقال للزنديق: «**أتعلم أن للأرض تحتاً وفوقاً؟**» قال: «**نعم**»، قال الإمام: «**فدخلت تحتها؟**» قال: «**لا**»، قال الإمام: «**فما يدريك ما تحتها؟**» قال: «**لا أدري إلا أني أظن أن ليس تحتها شيء**»، فقال الإمام: «**فالظنّ عجز فلِم لا تستيقن**»، ثمّ قال عليه السلام: «**أفصعدت الى السماء؟**»

قال: «**لا**»، قال عليه السلام: «**أفتدري ما فيها؟**» قال: «**لا**»، قال عليه السلام: «**عجباً لك لم تبلغ المشرق ولم تبلغ المغرب، ولم تنزل الى الأرض ولم تصعد الى السماء، ولم تجز هناك فتعرف ما خلفهنّ، وأنت جاحد بما فيهنّ، فهل يجحد العاقل ما لا يعرف؟**» قال الزنديق: «**ما كلّمني بها أحد غيرك**»[٤٠]. ونلمس من هذا الحوار قدرة الإمام على إقناع الآخر مستعملاً في ذلك حجج وأدلة عقلية ونقلية قريبة من تفكيره وقادر على استيعابها ولا يمكنه التشكيك بها.

الخاتمة (خلاصة البحث وأهم الاستنتاجات):

١-امتاز الإمام جعفر الصادق عليه السلام بقدرته على الحوار، منذ صغره، وقد استطاع إقناع كبار العلماء والفقهاء المخالفين، وهو أمر دل على سعة علمه الذي لم يكن مكتسباً، وإنما هو علم خاص، ألهمه الله له.

٢-استخدم الإمام جعفر الصادق عليه السلام أسلوباً ذكياً في حواره مع الآخر (**الحاكم**)، وهو استعمال الرمز في سبيل الوصول إلى الغاية والمقصد، فبما إن الإمام كان مكلفاً بحفظ نفسه من الضرر، فهو بالوقت نفسه مكلف بهداية الناس ومساعدتهم في التخلص من ذنوبهم.

٣-إن الإمام جعفر الصادق عليه السلام على الرغم من إدراكه عدم شرعية من تقلد زمام الخلافة، إلا انه كان غير منقطع عنهم، ويجتمع بهم بشكل مستمر، وفي ذلك إشارة إلى قبول الآخر لغرض الوصول معه إلى نتيجة ايجابية.

٤- عُني الإمام جعفر الصادق عليه السلام بإرشاد الناس إلى الحق وهدايتهم إلى الصواب، فقام بدور مهم في إنقاذ جماعة ممن أغرتهم الدنيا وجرفتهم بتياراتها، وببركة إرشاده ووعظه لهم تركوا ما هم فيه من الغي والضلال وصاروا من المؤمنين.

٥- حاور الإمام جعفر الصادق عليه السلام بما يعتقد به الآخر، دون أن يحاوره بما لا يعتقد به، وهو أمر دل على سمو منهجية الحوار من خلال إلزام الآخر بما يلزم به نفسه.

٦- تنوعت أساليب الحوار عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فكان من جملتها الحوار بالفعال دون الكلام، والحوار بالرمز دون المباشر، وتجلى ذلك بمواقف عديدة وردت في تضاعيف البحث.

الهوامش

١. ينظر: الطبري الشيعي، دلائل الإمامة، ص١١٠- ص١١١؛ العارف الموصلي، مناقب آل محمد، ص١٢٥- ص١٢٦ .

٢. من اجل استيضاح المعنى اللغوي والاصطلاحي للمفردات (**الحوار**)، و(**الحضاري**)، و(**الآخر**)، ينظر: الجوهري، الصحاح، ج٢/ ص٦٣٣ وص٦٤٠ وج٦/ ص٢٢٧٨؛ الرازي، مختار الصحاح، ص٩١؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٤/ ص١٩٧- ص٩٨١ وص٢١٨؛ ج١٥/ ص٢٧٨؛ الطريحي، مجمع البحرين، ج١/ ص٣٥١ وص٥٩٥؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٣/ ص١٤٦ وص١٦٢ وج٧/ ص٢٥٤؛ الأنصاري، الموسوعة الفقهية، ج١/ ص١٨٤ .

٣. سورة المجادلة: آية ١ .

٤. سورة الروم: آية ٢٢ .

٥. سورة هود: آية ١١٨ .

٦. سورة البقرة: آية ١١١ .

٧. سورة المائدة: آية ٤٧ .

٨. سورة مريم: آية ٤٣ .

٩. سورة النحل: آية ١٢٥ .

١٠. الكليني، الكافي، ج٢/ ص١٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٨/ ص٣ .

١١. الحراني، تحف العقول، ص٣١٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥/ ص٢٩٢ .

١٢. المصدر نفسه، ج٤٧/ ص١٨٩ وج٩١/ ص٢٧١ .

١٣. ينظر: الطوسي، الأمالي، ص٧٠٩- ص٧١٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٧/ ص١٦٧- ص١٦٩.

١٤. ينظر: التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١/ ص٠٧- ص٧١؛ النيسابوري، روضة الواعظين، ص٢٠٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦/ ص٢٦٦ .

١٥. ينظر: العارف الموصلي، مناقب آل محمد، ص١٢٧؛ المزي، تهذيب الكمال، ج٥/ ص٩٢- ص٩٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦/ ص٢٦٤ وج٧/ ص٢٠٢ .

١٦. ينظر: الأربلي، كشف الغمة، ج٢/ ص٤٢٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٧/ ص١٨٤- ص١٨٥؛ الطبرسي، مستدرك الوسائل، ج١٢/ ص٣٠٧ .

١٧. الطوسي، الأمالي، ص٠٥- ص٥١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٧/ ص١٦٥ .

١٨. المائدة: ٧٢ .

١٩. مريم: ٣٢ .

٢٠. النور: ٢٣ .

٢١. الأنفال: ١٦ .
٢٢. النساء: ٣٩ .
٢٣. البقرة: ٢٧ .
٢٤. ينظر: الكليني، الكافي، ج٢/ ص٢٨٥- ص٢٨٧؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣/ ص٥٦٣- ص٥٦٤.
٢٥. الصدوق، الخصال، ص٥١٢٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠/ ص٢٠٥ .
٢٦. ينظر: الطبرسي، الاحتجاج، ج٢/ ص١١٥- ص١١٧؛ ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣/ ص٣٧٦- ص٣٧٨؛ العارف الموصلي، مناقب آل محمد، ص١٢٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢/ ص٢٨٧- ص٢٨٩، ج١٠/ ص٢١٣- ص٢١٤ .
٢٧. الأعراف: ١٤٥ .
٢٨. النحل: ٨٩ .
٢٩. الجن: ٢٨ .
٣٠. ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣/ ص٣٨٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠/ ص٢١٥ .
٣١. هو وهب بن وهب بن كبير بن عبد الله بن زمعة بن أبي المطلب، من قريش، وقيل يهودي الأصل، وكان من العلماء بالأخبار والأنساب، متهم بالكذب ووضع الحديث، تولى القضاء أيام هارون العباسي وظل على ذلك مدة، وتوفي سنة (٢٠٠هـ) في بغداد. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج٨/ ص١٢٦ .
٣٢. الكليني، الكافي، ج٢/ ص٢٢٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٧/ ص٣٧٢؛ العاملي، وسائل الشيعة، ج١٦/ ص١٤٤ .
٣٣. الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج١/ ص٣٤٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢/ ص٢٤٦ .
٣٤. الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج٢/ ص٤٨٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢/ ص٢٥٠ وج٦٩/ ص٢١١ وج٨٤/ ص١٠٣ .
٣٥. ينظر: المفيد، الإرشاد، ج٢/ ص١٩٩- ص٢٠٢؛ الكراجكي، كنز الفوائد، ص٢٢٠- ص٢٢١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠/ ص٢٠٩- ص٢١١ .
٣٦. الصدوق، التوحيد، ص٢٩٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢/ ص٧١- ص٧٢ .
٣٧. الصدوق، الأمالي، ص٤٣٢؛ المفيد، الإرشاد، ج٢/ ص٢٠١- ص٢٠٢؛ وينظر: الطبرسي، الاحتجاج، ج٢/ ص٧١- ص٧٢ .
٣٨. الكليني، الكافي، ج١/ ص١٠٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣/ ص٣٠٢- ص٣٠٣ .
٣٩. الصدوق، الأمالي، ص٤١٩؛ الكليني، الكافي، ج١/ ص١٠٦ .
٤٠. الكليني، الكافي، ج١/ ص٧٢- ص٧٣ .

المصادر والمراجع

خير ما نفتتح به القرآن الكريم

١.الأربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت٦٩٣هـ):

٢.كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط٢، دار الأضواء، (بيروت-١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

٣. الأنصاري، محمد علي:

٤.الموسوعة الفقهية الميسرة، مجمع الفكر الإسلامي، (قم- ١٤١٥هـ. ق).

٥.التنوخي، أبو علي الحسين بن أبي القاسم (ت ٣٨٤هـ):

٦. الفرج بعد الشدة، ط٢، منشورات الشريف الرضي، (قم- ١٣٦٤هـ).

٧.الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ):

٨.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط٤، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، (بيروت- ١٤٠٧هـ).

٩. الحراني، ابن شعبة (ت ق ٤هـ):

١٠.تحف العقول، ط٢، تحقيق وتعليق علي أكبر الغفاري، متوسطة النشر الإسلامي، (قم- ١٤٠٤هـ).

١١.الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ):

١٢.سير أعلام النبلاء، ط٩، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، (بيروت-١٤١٣هـ).

١٣.الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر (ت٧٢١هـ):

١٤.مختار الصحاح، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت- ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

١٥.الزبيدي محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ):

١٦.تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة (بيروت- د.ت).

١٧.الزركلي، خير الدين:

١٨.الأعلام، **قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط٤، دار العلم للملايين، (بيروت- ١٩٧٩م).

١٩.ابن شهر اشوب، ابن شهر (ت٥٨٨هـ):

٢٠.مناقب آل أبي طالب، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، (النجف- ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م).

٢١.الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ):

٢٢.التوحيد، تحقيق السيد هاشم الحسيني، جماعة المدرسين، (قم- ١٣٨٧هـ).

٢٣.الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، تحقيق جماعة المدرسي، (قم- د.ت).

٢٤.من لا يحضره الفقيه، ط٢، تحقيق علي أكبر غفاري، (د.م- ١٤٠٤هـ).

٢٥.الطبرسي، المحقق النوري (ت١٣٢٠هـ):

٢٦.مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، (د.م- ١٤٠٨هـ).

٢٧.الطبرسي، أحمد بن علي (ت٥٦٠هـ):

٢٨.الاحتجاج، تحقيق السيد محمد باقر الخرسان، منشورات دار النعمان للطباعة والنشر، د.م- د.ن).

٢٩.الطبري، محمد بن جرير بن رستم الشيعي (ت أوائل القرن الرابع الهجري):

٣٠.**دلائل الإمامة**، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعث، (قم-١٤١٣هـ).
٣١.الطريحي، فخر الدين (ت١٠٨٥هـ):
٣٢.**مجمع البحرين**، ط٢، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مكتبة ناشر الثقافة الإسلامية، (د.م-١٤٠٨هـ).
٣٣.الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ):
٣٤.**اختيار معرفة الرجال**، تحقيق محمد باقر الحسيني وآخرون، (قم- ١٤٠٤هـ).
٣٥.**الأمالي**، قسم الدراسات الإسلامية، قم-١٤١٧هـ).
٣٦.**التبيان في تفسير القرآن**، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة مكتبة الإعلام السياسي، (د.م- ١٤٠٩هـ).
٣٧.العارف الموصلي، شرف الدين أبي محمد عمر بن شجاع الدين محمد بن عبد الواحد (ت٦٥٧هـ):
٣٨.**مناقب آل محمد المسمى بـ(النعيم المقيم لعترة النبأ العظيم)**، تحقيق السيد علي عاشور، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت- ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).
٣٩.الكراجكي، أبو الفتح محمد بن علي (ت٤٤٩هـ):
٤٠.**كنز الفوائد**، ط٢، مكتبة المصطفوي، (قم-١٤١٠هـ).
٤١.الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت٣٢٩هـ/ ٩٤٠م):
٤٢.**الكافي**، ط٣، تحقيق علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، (أخوندى-١٣٦٧هـ).
٤٣.المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ):
٤٤.**بحار الأنوار**، مؤسسة الوفاء، (بيروت-١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
٤٥.المزي، أبو الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ):
٤٦.**تهذيب الكمال**، تحقيق بشار عواد معروف، (د.م- ١٤١٣هـ)
٤٧.المفيد (ت٤١٣هـ):
٤٨.**الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**، مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد، (د.م- د.ت).
٤٩.ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت٧١١هـ/ ١٣١١م):
٥٠.**لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، (د.م- ١٤٠٥هـ).
٥١.النيسابوري، محمد بن الفتال (ت٥٠٨هـ):
٥٢.**روضة الواعظين**، تحقيق: السيد محمد مهدي حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، (قم- د.ت).